روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

قيثارة الموت

١٣

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى توُدّة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة **نوقا** للخيال العلمى

قيثـارة الموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كان اسمه (نبيل صبرى) .. وقد عاش من قبل .. كإنسان مثل الرجال الآخرين .. ولكنه أصبح الآن مجرد عقل حرّ نابض .. يسكن داخل هيكل صغير معدنى .. من الأعضاء الصناعية .. ومزود بأجهزة استشعار من بعد ، ووسائل للطيران ، ورقاقات بيولوجية ، ودوائر إليكترونية .. كمبيوتر حىّ .. أما الجسد الذى عرف فيما مضى .. مسرات وآلام الوجود المادى .. فقد اختلط بالتراب منذ فترة طويلة ..

لكن عقل (نبيل) مازال مستمرًا فى الحياة .. متألقا .. وقويًا .. ويمكنه أن يحارب الشر فى كل مكان بالكون .. مع زملائه من دورية الفضاء .. وهذه المرة .. يناضلون أمام خطر داهم لم يروا مثله من قبل .. برغم مغامراتهم المثيرة ..

خطر يدفع كوكبًا .. إلى الجنون !

ـ ١ ـ

ارتفعت سلسلة الجبال الكئيبة الوعرة .. على طول حافة غابة الأشجار الطحلبية .. التى ترتفع إلى أعلى كالمردة .. وتتكاثف .. ثم تأخذ طريقها المنحدر الطويل .. إلى قلب الوادى ..

وهنا وهناك .. تبدو مناطق مقطوعة الأشجار ..

الأرجح أنه بنى حولها معبد .. منذ زمن طويل .. ثم تهدم ولم يبق منه غير أنقاض ..

ويلوح من البعد .. أشكال متناثرة من الصخور المتغضنة ..

الحزينة .. التى تآكلت بفعل الرياح .. ومن وقت لاخر .. كانت تهب نسمة هواء خفيفة .. تجعل أوراق الأشجار تصدر حفيفا يشبه العويل المكتوم .. وتسقط إلى أسفل ترابا مسحوقا .. كريه الرائحة ..

* * *

كان (نبيل صبرى) مضجرا من السلسلة الجبلية .. والغابة الموحشة القائمة .. كما أصابه الملل من الانتظار ..

فقد مرت ثلاث ليال فوق (تيتان) .. أحد أقمار كوكب (زحل) .. قضاها مع زميليه (عادل أشرف) والروبوت (فهد) .. منذ أن أخفوا سفينتهم الفضائية (الشهاب) فى غابة الطحالب .. وانتظروا هنا رجلا .. لم يحضر حتى الآن ..

كانت تلك هى الليلة الرابعة من الانتظار .. تحت الروعة الهائلة لسماء (تيتان) ..

لكن حتى فى وجود (زحل) .. أجمل كواكب المنظومة الشمسية .. الذى تطوقه الحلقات النارية .. وتدور حوله مجموعات متألقة من الأقمار مختلفة الأشكال والأحجام .. فشلت كلها فى رفع الروح المعنوية لـ (نبيل) ..

ولحد مّا .. فإن الروعة التى تحيط به من أعلى .. قد زادت من كآبة مافى أسفل ..

قال (عادل) بحدّة ونفاد صبر :

ـ مالم يأت (أمجد) الليلة .. فإننى سوف أذهب إلى هناك .. وأبحث عنه !

ثم نظر بعيدا من خلال شق فى أشجار الطحالب .. الى الوادى .. حيث تمتد مدينة (قمر زحل) .. وهى مدينة تبدو غامضة فى الليل .. على البعد ..

تحدث (نبيل) بصوت رنان .. واضح النبرات .. أجش .. من خلال جهاز ليزر لتضخيم الصوت :

– إن رسالة (أمجد) حذرتنا .. من الذهاب إلى المدينة لأى سبب كان .. وعليك بالصبر يا (عادل) .. فإنه سوف يحضر !

أومأ (فهد) برأسه المعدنى .. فتألقت عيناه الفيروزيتان .. وقال بصوت آلى .. رتيب :

– الواضح أن أحداثا خطيرة طارئة .. تجرى فى مدينة (قمر زحل) .. وربما تزيد الأمر سوءا .. لو أخذنا نتسكع هنا وهناك .. قبل أن نعرف حقيقة الأمر .

وتحرك بنفاد صبر فى الظلال .. فأحدث صوتا معدنيًا .. كئيبا .. ثم قطع صوته المدوى .. ذلك السكون الذى ران عليهم قائلا :

– .. إننى أوافق (عادل) .. فقد مللت من الانتظار أنا أيضا !

قال (نبيل) وهو يتنهد :

– إننا جميعا متعبون .. ولكن لابد من الانتظار .. فمن رسالة (أمجد) أيقنت أنه ليس جبانا .. ولا أحمق .. إنه يدرك الموقف تماما .. أما نحن فلا نعلم شيئا بعد .. لهذا يجب ألا نعرضه للخطر .. بالجزع ونفاد الصبر ..

همس (عادل) :

– أعرف ذلك ..

ثم اعتدل فى جلسته على قطعة من الصخر كان جالسا عليها .. واستطرد قائلا :

– ... كل ما اتمناه ان ينجح فى تدبير امره .. فهذه الاشجار اللعينة .. تحطم أعصابى ..

راقب (نبيل) ما يجرى بإمعان .. وهو جاثم بدون جهد فوق الأشعة الكهرمغناطيسية الخفية .. التى تمد اعضاءه بالطاقة .. كان يدرك الصورة التى عرضها على الآخرين .. بشكل مختلف عنهما .. إذ إنه عبارة عن صندوق معدنى صغير .. مربع الشكل .. له وجه غريب .. ذو عينين صناعيتين من العدسات البيضاء .. وفم رنان .. ويحوم طائرا فى الهواء ..

كان (نبيل) يعتبر نفسه كيانا .. بلا بدن .. لم يكن يستطيع رؤية جسده الغريب .. بل كان يشعر فقط بالنبض الإيقاعى الثابت .. لمضخة الدم الصناعى .. التى كانت تؤدى وظيفة قلبه .. وبالإحساسين .. البصرى والسمعى .. اللذين تحققه له .. الأعضاء الصناعية ..

كانت عيناه .. قادرتين تحت كل الظروف .. أن ترياً أفضل من العينين البشريتين .. ولكنه حتى مع توفر هذه القدرة له .. لم يكن يستطيع اختراق الظلال المتلاطمة المتحركة .. لهذا الوادى الغامض .. الممتد أمامه .. والذى ظل لغزا .. فى ضوء أقمار (زحل) المرتعشة .. والضباب .. والظلام ..

كانت رسالة (أمجد) .. تستنجد طلبا للمساعدة .. ضد شر .. لا يستطيع أن يواجهه بمفرده ..

- ٢ -

كان (نبيل) يحس بشكل مرهف .. بالحفيف الموحش .. للأشجار الطحلبية .. إذ يمكن لجهازه السمعى الفائق .. أن يلتقط .. أى صوت خافت .. لا تستطيع الأذن البشرية أن تميزه .. بحيث أصبح الحفيف .. والخشخشة .. عبارة عن نمط متغير .. متذبذب .. من الأصوات ..

كما لو كانت سيمفونية .. تعزفها أصابع اليأس واللا أمل ..

ولم يكن (نبيل) يعرف الأوهام .. ومع ذلك ففى هذه الليالى من الانتظار الطويل .. تكونت لديه حاسة معينة من توقع الشر .. ! ولعل ذلك يرجع لهذا الهمس الحزين .. الصادر من غابة أشجار الطحالب ..

تفاعل مخه النابض .. مع التأثير المتكرر للنمط الصوتى .. وأصبح يأمل ـ تماما مثل (عادل) و (فهد) ـ أن يحضر (أمجد) قريبا ..

مرّ الوقت .. وملأت حلقات كوكب (زحل) الفضاء .. بلهب سماوى أخاذ ..

واستمرت الأقمار العديدة فى دورانها .. المهيب .. الأبدى .. وهى تستحم فى أشعة (زحل) الوديعة ..

ولم تكن الأشجار الطحلبية .. لتكف عن عويلها المثير للأعصاب ..

وبين كل لحظة وأخرى .. كان (عادل) ينهض ليتحرك جيئة وذهابا .. عبر المنطقة الخلاء ..

راقبه (فهد) .. وهو جالس لا يحرك ساكنا .. وجسده المعدنى النحيل .. منحن مثل قوس من الصلب .. عملاقا ساكنا اسود .. جاثما فى الظلام ..

وفجأة .. صدر صوت يختلف عن جميع الأصوات الأخرى ..

سمع (نبيل) الصوت أولا .. وانصت إليه جيدا .. وبعد لحظات قال :

ـ هناك رجلان يصعدان المنحدر من الوادى قادمان تجاهنا !

قفز (فهد) من مكانه واقفا ..

وقال (عادل) بسرعة .. وبنبرة سريعة حادة :

ـ الأفضل أن نحتمى جيدا .. حتى نطمئن تماما ..

وسرعان ما اختفى الثلاثة .. فى جوف الظلام ..

أخذ (نبيل) يطير قريبا جدا من الشخصين الغريبين .. دون أن يشاهداه لدرجة أنه كان يمكنه أن يطلق أحد أشعة قوته .. بحيث تلمسهما ..

دخلا فى المنطقة الخلاء .. وهما يلتقطان أنفاسا عميقة .. من جراء صعودهما الطويل .. وأخذا ينظران حولهما باهتمام ..

كان أحدهما رجلا طويل القامة .. نحيلا .. أما الثانى فكان أقصر وأعرض منه .. ويتحرك بمرح وسرور ..

بدا أنهما رجلان من كوكب الأرض .. وبصمة الحدود لا تخطئها العين عليهما .. وكذا صلابة وقوة جسديهما .. وكلاهما مسلحين !

قال الرجل الطويل فى يأس :

ـ يبدو أنهم خذلونا .. ! فلم يحضروا يا (تامر) !

رد الرجل القصير بصوت مفعم بالقلق :

ــ اعتقد أن رسالتك لم تصل إليهم .. ولا ادرى يا (أمجد) ما الذى سوف نفعله الآن ! هل يجب علينا العودة من حيث أتينا ؟

ــ تكلم (عادل) من جوف الظلام :

ــ توقفا لحظة ! إن الأمر ليس سيئا كما تعتقدان !

خرج (عادل) من مخبئه إلى الفضاء الواسع .. وبدا وجهه الوسيم .. وشعره الأسود القصير .. فى ضوء أقمار (زحل) .

قال (تامر) :

ــ إنه (عادل أشرف) كائن الفضاء . وكان صوته يختلج معبرا عن الارتياح ..

ابتسم (أمجد) وهو يقول :

ــ لا ريب أنك اعتقدت أننى قد لقيت حتفى وأن شخصا ما سوف يحضر فى الموعد .. ظنك هذا ليس مبالغا فيه .. لقد كنت مراقبا عن كثب .. لدرجة أننى لم أجرؤ على المجىء .. حتى تمكنت من تدبير أمرى بصعوبة هذه الليلة .

توقف عن حديثه .. وهو يحملق .. بينما كان (فهد) يقبل بخطى واسعة . ويهز الأرض هزا .. تحت قدميه المعدنيتين ..

ثم لحق به (نبيل) .. وهو يمرق فى صمت .. على ارتفاع قليل .. من بين الظلال ..

ضحك (أمجد) وهو مضطرب قليلا وقال :

ــ ليتكم تعرفون كم انا سعيد برويتكم جميعا ..

وقال الرجل القصير الضخم :

ــ وانا أيضا ! إن اسمى (تامر) ..

نظر (أمجد) إلى (عادل) قائلا :

ــ لسنوات طويلة يا أصدقائى .. مكثت فى مدينة (قمر زحل) .. وتركت الناس آمنين هناك .. لقد حاولت أن أعطيهم الشجاعة التى يريدونها .. لكننى لست سوى رجل واحد .. وهذا أساس ضعيف .. لا يمكن أن نعلق عليه مصير مدينة بأسرها ..

حنى (عادل) رأسه فى بطء .. ووقار .. ولمعت عيناه الذكيتان .. وقال مؤكدا :

ــ سوف نفعل كل ما نستطيعه .

ثم استدار إلى زميليه وقال :

ــ (نبيل) .. (فهد) استمرا فى المراقبة .. لعل شيئا ما يحدث !

كانت نسمة الهواء قد اشتدت وقتئذ إلى ريح .. أحضرت معها العويل العميق للأشجار الطحلبية ..

جلس (أمجد) على قطعة ملساء من الصخر .. وبدأ يتحدث .. بينما كان (نبيل) يحوم حوله مستمعا .. وملاحظا للانفعالات فوق وجهه .. وبدت ملامحه مريحة .. وكلامه صادقا ..

واعتقد (نبيل) أنه رجل حصيف وقوى .. ولكنه الآن منهك .. نتيجة المجهود .. والخوف طويل الأمد ..

قال (أمجد) بتؤدة :

ــ كنت أول رجل من كوكب الأرض .. يصل إلى هذا الوادى منذ سنوات .. وبعد ذلك أحببت أهل مدينة (قمر زحل) وأحبونى .. وعندما بدأ العاملون فى المناجم يصلون إلى (تيتان) .. عملت

على عدم حدوث أى متاعب بينهم وبين الوطنيين .. ثم تزوجت فتاة من المدينة .. ابنة أحد زعمائهم .. ولكنها ماتت منذ فترة .. ولدىّ ابن منها .. وأنا أحد مستشارى الوطنيين .. الشخص الوحيد ذو الدم الأجنبى الذى سمح له .. بالإقامة فى المدينة الداخلية ..

تريث لبرهة ليمسح بعض قطرات العرق التى تكاثرت على جبهته ثم استطرد قائلا :

ـ ... وكما ترون فقد أصبح لى وزن كبير نسبيًا .. وقد استخدمت ذلك فى حفظ السلام هنا بين الوطنيين .. وأهل الأرض .

هز رأسه ثم واصل حديثه :

ـ دائمًا كان فى مدينة (قمر زحل) .. أشخاص يكرهون رؤية أهل كوكب الأرض .. وحضارتهم .. التى تأتى وتقلص من نفوذهم .. وقد حاولوا منذ وقت طويل أن يطردوهم بالقوة ! .. وكان من الممكن أن يشعلوا فتيل الصراع الدامى فى المدينة .. لو تجرءوا على تحدى التقاليد واستخدموا السلاح الوحيد المتاح لهم . والآن هم أكثر قوة .. ويخططون لاستخدام هذا السلاح الرهيب بالفعل .

نظر إليه (عادل) باهتمام واضح .. وتساءل قائلا :

ـ ما هو هذا السلاح ؟

رد عليه (أمجد) فى همس :

ـ القيثارات !!

صدمت المفاجأة (نبيل) وشاهد دهشة خرافية على وجه (عادل) :

ـ إنك لا تعنى بالطبع .. أن الذين يكرهون أهل كوكب الأرض .. يخططون لاستخدام قيثارات الموت .. كسلاح ؟!

أومأ (أمجد) برأسه فى حزن وقال :

ـ هذا هو ما يسعون إليه بالضبط !

برقت فى ذهن (نبيل) ذكريات الأيام الخوالى .. على القمر (تيتان) ..

الأشكال الغريبة للحياة .. التى كانت سائدة فى الغابات الشاسعة .. والجمال الأخاذ الذى لا ينسى .. والذى كان مقترنًا بالخطر المميت !

قال (نبيل) بعد لحظات :

ـ لكن هذا السلاح سوف يدمر أولئك الذين يستخدمونه .. مالم يحموا أنفسهم منه .

أجابه (تامر) :

ـ منذ زمن مضى .. كان لرجال مدينة (قمر زحل) .. مثل هذه الحماية .. ومن ثم استخدموا قيثارات الموت .. لكن هذا الاستخدام كان مشئومًا وسبب الكوارث .. لدرجة أنه حرّم استخدامها تمامًا .

تريث قليلا ثم أضاف :

ـ .. والآن هؤلاء الأشخاص يريدون طرد أهل كوكب الأرض بالقوة .. ولذلك يخططون لإلغاء هذا الحظر .. إنهم يريدون إحضار قيثارات الموت .. واستخدامها !

أومأ (تامر) برأسه مؤمنًا وقال :

ـ كانت الأمور تسير على ما يرام .. حتى مات الملك السابق ..

لقد كان عظيمـا يحـق .. أمـا ابنـه الملـك الحـالى .. فضعيـف الشخصية .. فأثر عليه المتعصبون ضد الحضارة الأرضية .

رأى (عادل) الثقة الفائقة فى عينى (تامر) وهو ينظر إلى صديقه .. ثم قال :

ـ .. وبالطبع فقد حاولوا قتل (أمجد) .. وإذا تخلصوا منـه .. لن يقف أى زعيم أمامهم ..

ارتفع صوت (أمجد) بحيث غطى على هدير ونغمات الأشجار الطحلبية .. وهو يقول :

ـ لقد وجهت الدعوة إلى اجتماع عام بعد يومين .. وذلك هو وقت اتخاذ القرار .. من الذى سوف يحكم مدينة (قمر زحل) ؟.. وأنا أعرف جيدًا أن هناك فخًا منصوبًا لى .. وهنا موطن احتياجى الشديد إلى مساعدتكم .. لكن يجب ألا يراكم أحد فى المدينة .. فأى غرباء الآن يثيرون الشك .. وأنتم معروفون جيدًا ، و...

ورمق (نبيل) .. الصندوق المعدنى المربع .. الطائر .. ثم أضاف معتذرًا :

ـ ... ومميزون تمامًا !

تريث لفترة .. خلالها كان صوت هدير وقرقعة الأشجار الطحلبية .. يشبه الرفرفة العنيفة .. للأشرعة الضخمة فى مهب الرياح .. ولم يسمع (نبيل) برغم حاسته السمعية المرهفة .. ذلك الصوت الخافت .. حتى أصبح الوقت متأخرًا .. ثم متأخرًا جدًا بثانية واحدة !

وثب رجل فى المنطقة الخالية ..

وكان لـ (نبيل) لمحة سريعة من أطرافه المعدنية .. لوجه السفاح ..

وارتفع سلاح غريب .. يشبه الخنجر الصغير اللامع .. انطلق كالسهم !

وفى نفس اللحظة استدار (عادل) وسحب سلاحه الليزرى .. وأطلق دفقات سريعة من الأشعة المدمرة ..

سقط السفاح مضرجًا بدمائه ..

وسمعوا صيحة (فهد) الرهيبة ..

مرت لحظات غير معروف زمنها .. لم يتحرك خلالها أحد ..

ثم رجع (فهد) إلى المنطقة الخلاء وقال :

ـ أعتقد أنه كان هناك اثنان منهم فقط .. لقد قضيت على الثانى !

وضح (تامر) ما حدث قائلا :

ـ لقد تبعانا ! .. حتى هنا .. إلى ..

كان يستدير وهو يتكلم ..

وفجأة توقف عن الحديث .. ثم صرخ باسم (أمجد) ..

رقد (أمجد) ووجهه إلى أسفل .. فى التراب الناعم .. وبرز من صدغه .. نصل صغير أكبر قليلا من الإبرة .. وخرجت نقطة دم سوداء .. عند النقطة التى اخترق اللحم عندها ..

حام (نبيل) منخفضا .. فوق الرجل المصاب ولمست أشعته الحساسة حلقه وصدره .. ورفعت الجفنين الرخويين .. ثم أعلن بدون أمل :

ـ إنه ما زال يعيش ! ولكن لا أدرى إلى متى ؟!

ـ ٣ ـ

حمل (فهد) جسد (أمجد) واخترق به الغابة ..

وبرغم طول قامة المصاب .. إلا أنه بدا كطفل بين يدى الروبوت العملاق ..

زمجرت الرياح .. واهتزت الأشجار الطحلبية .. وقرقعت .. وبدأ الظلام يسدل ستائره ..

قال (تامر) بلهفة :

ـ أرجو أن تسرع .. فربما ما زالت هناك فرصة !

وبدا وجهه شاحبا .. ومحدقا فى لا شىء من أثر الصدمة ..

وأخذ (نبيل) يحسّ بالعواطف ..

ولكن أقوى وأوضح من ذى قبل .. خالية تماما من التشويش الكيميائى لخلايا الجسم ..!

والآن .. شعر بالرثاء على (تامر) ..

قال (عادل) له :

ـ إن سفينتنا الفضائية (الشهاب) .. ما زالت أمامنا ..

اقتربوا من السفينة .. كانت عبارة عن كومة من المعدن .. بين أشجار عملاقة ..

وبسرعة أدخلوا (أمجد) فيها .. مدده (فهد) بعناية فوق منضدة بالمختبر الصغير .. كان ما يزال يتنفس ..

ولكن (عادل) كان يعرف .. أن ذلك لن يستمر طويلا !

بدا مختبر سفينة الفضاء (الشهاب) مزدحما .. باجهزة الليزر الطبية المماثلة لتلك الموجودة بمعظم المستشفيات الحديثة فوق كوكب الأرض .. ومعظمها صمم لأغراض طبية خاصة .. وقد استعملت مرات عديدة من قبل لإنقاذ حياة بعض الأشخاص .

والآن .. انشغل (عادل) و (فهد) .. فى محاولة إنقاذ حياة (أمجد) .. بكل ما يمكنهما من قدرة ..

ضغط (عادل) على بعض الأزرار .. لوحة مفاتيح الكمبيوتر الطبى .. وفى غضون بضعة ثوان .. كانت الأنابيب الدقيقة .. مثبتة داخل شرايين المصاب .. وأخذت المضخات الإلكترونية تعمل ..بحيث تحافظ على معدل السريان الطبيعى للدم .. كما تغذى القلب مباشرة .. بمحلول منبه ومنشط .. وكانت وحدة الأكسوجين تعمل بكفاءة عالية ..

أومأ (عادل) برأسه وقال :

ـ النبض والتنفس ضعيفان .. دعنا ننظر إلى داخل المخ ..

ثم لف منظارا دقيقا للفحص الطبى داخل الجسم .. إلى وضع معين .. وشغله ..

نظر (نبيل) إلى شاشة الكمبيوتر الطبى .. وهو يحلق بجوار كتف (عادل) وقال :

– الفص الجبهى ممزق وتالف تماما .. انظر إلى هذه الزوائد الدقيقة على هذا الخنجر .. لقد أدت بالفعل إلى تدهور حالة خلايا المخ !

تحدث (تامر) من مدخل المختبر قائلا :

– ألا تستطيعان عمل شىء ما ؟ ألا يمكنكما إنقاذه ؟

ثم حدق فى وجه (عادل) للحظات .. وسقطت رأسه إلى الأمام .. وقال بصوت مفعم بالأسى :

– بالطبع لا ! لقد عرفت ذلك بمجرد أن أصيب !

فجأة فارقته قوته ، وارتكز على الباب ..

كان مجهدا .. ومرهقا .. وحزينا بما يفوق التصور ..

قال بصوت حزين :

– من المؤسف تماما أن تفقد صديقا ! .. الآن ضاع أيضا كل شىء حارب من أجله (أمجد) .. وسوف يطلق أعداؤنا سلاحا رهيبا من عقاله .. لن يدمر فقط أهل كوكب الأرض .. ولكن كل من فوق القمر (تيتان) !

نظر (عادل) إلى (تامر) لمدة طويلة .. ثم اتجه إلى شاشة الكمبيوتر الطبى .. ثم نظر جانبيا إلى (نبيل) و (فهد) .. وأومأ برأسه .. وأغلق الجهاز .. وبدأ يخرج الأنابيب الدقيقة .. من جسد (أمجد) ..

قال (نبيل) بسرعة :

– انتظر يا (عادل) .. اتركها كما هى عليه !

استقام جسم (عادل) وفى عينيه نظرة حائرة ..

وانسل (نبيل) الى حيث يقف (تامر) الشاحب الوجه .. أكثر من الرجل الميت .. الذى يرقد على منضدة المختبر ..!

نادى (نبيل) اسمه ثلاث مرات .. قبل أن ينتبه ويجيبه فى همس :

– ماذا تريد ؟

– ما هو مقدار شجاعتك يا (تامر) ؟

تنهد (تامر) وقال :

– توجد أوقات لا تجدى الشجاعة فيها شيئا !

رد (نبيل) متهيبا :

– أصغ إلىّ ! هل لديك الشجاعة لتسير بجوار (أمجد) إلى داخل مدينة (قمر زحل) وأنت تعلم أنه ميت ؟!

اتسعت عينا الرجل القصير البدين .. فى ذهول ..

واقترب (عادل) من (نبيل) وقال له بحدة :

– ما الذى تفكر فيه بالضبط ؟

تريث (نبيل) قليلا ثم قال :

– إننى أفكر فى رجل شجاع مات فى أثناء سعيه لطلب مساعدتنا .. وأفكر فى كثير من الرجال والنساء الأبرياء الذين سيموتون دون ذنب ..

حدق (تامر) طويلا فى الجثة الممددة على المنضدة .. الجسد الذى يتنفس وينبض بما يشبه الحياة المستعارة .. الآلية .. من مضخات .. ومعدات طبية ..

ثم تحركت يداه العريضتان .. تعبيرا عن اليأس المطلق ..

استطرد (نبيل) قائلا :

ـ يجب ألا يعرف أحد أن (أمجد) قد مات !

اندفع (عادل) صائحا :

ـ لا يا (نبيل) .. لا يمكن أن تفعل ذلك !

قال (نبيل) بثقة :

ـ ولم لا يا (عادل) ؟ إنك قادر تماما على إجراء العملية الجراحية ..

رد (عادل) مؤكدا :

ـ لقد قتلوا (أمجد) مرة .. وهم مستعدون لفعل ذلك مرة أخرى .. (نبيل) لا يمكنك أن تعرض نفسك للخطر ! وحتى لو أمكننى أن أجرى العملية الجراحية .. فإننى أرفض !

ثم ظهر توسل غريب فى نظرات (عادل) وهو يستطرد :

ـ إن هذا عملى يا (نبيل) وواجبى .. أرجوك دعنى أقم به ..

تساءل (نبيل) فى قلق :

ـ وكيف سوف تقوم به ؟ بالقوة ؟ إنك لست قادرا على كل شىء .. ستذهب إلى الموت المؤكد بقدميك ..

توقف (نبيل) .. وبدا له فجأة أنه قد أصيب بالجنون ! أجل .. لابد أنه جن .. لكى يخطر على باله هذا الذى يوشك على فعله ..

ومع ذلك .. فهذه هى الطريقة الوحيدة .. الفرصة الممكنة الفريدة للحيلولة دون وقوع كارثة .. يستحيل علاجها !

كان (نبيل) يعرف ما يمكن لقيثارات الموت أن تفعله ..

لو وضعت فى أيد غير أمينة .. وما الذى سوف يحدث لأهل كوكب الأرض فى مدينة (قمر زحل) .. ويدرك أيضا مدى الأضرار التى سوف تلحق بالكثيرين من البشر الأبرياء ..

قال (تامر) ببطء شديد :

ـ إننى لا أفهم شيئا !

شرح (نبيل) الأمر .. قائلا :

ـ إن جسد (أمجد) كامل .. والذى تلف فيه فقط عقله .. فإذا زودنا هذا الجسد بعقل آخر .. مثل عقلى أنا .. فإن الأمر سيبدو كما لو أن (أمجد) ما يزال حيًا .. لكى ينهى مهمته فى مدينة (قمر زحل) !

وقف (تامر) لفترة طويلة عاجزا عن النطق .. وهمس أخيرا :

ـ هل هذا ممكن ؟!

تريث (عادل) قليلا ثم قال بتؤدة :

ـ لقد نجحت مؤخرا عمليات زراعة المخ .. مثل أى عضو آخر فى الجسم ..! إن هذا ممكن بالطبع .. ولكنه غير مأمون !

زمّ (تامر) قبضتى يديه .. ولمع ضوء ما ـ لعله الأمل ـ فى عينيه ..

قال (نبيل) وهو يطير قريبا من (تامر) :

ـ نحن الأربعة فقط نعرف أن (أمجد) قد مات .. ولن تكون هناك أى مشكلة .. وأنا أعرف لغة أهل (تيتان) .. وكذلك معظم لغات كواكب المنظومه الشمسية .. لكننى سوف أحتاج لمساعدة دليل .. يعرف كل شىء عن حياة (أمجد) .. بحيث يمكننى أن

أعيشها لفترة زمنية قصيرة .. حسبما تستدعى الظروف .. وهذا هو دورك يا (تامر) .. وأنا أنبهك أن ذلك لن يكون سهلا !

تكلم (تامر) بصوت منخفض .. ولكنه متماسك :

ــ إذا كنت تستطيع أن تقوم بدورك هذا .. فبوسعى أن أقوم بدورى .

قال (عادل) غاضبا :

ــ إننى لن أشترك قط فيما تفكران فيه .

رد (نبيل) مهدئا الموقف :

ــ صدقنى يا (عادل) .. هذا هو الحل الوحيد !

ثم حام بالقرب من الروبوت (فهد) وقال له :

ــ خذ (تامر) إلى المقصورة الرئيسية .. وتأكد من أنه سوف ينام .. لأنه سيحتاج لكل قوته ونشاطه ..

عاد (فهد) بعد فترة .. دخل وأغلق باب المختبر .. وعيناه تتألقان بنوع غريب من المتعة ..

ووقف (عادل) حيثما كان .. وفكه جامد لا يتحرك !

* * *

انساب (نبيل) إلى الخزانات البيضاء الملاصقة للجدار الأيمن فى المختبر .. وباستخدام الأشعة الكهرومغناطيسية .. ذات التطويع الرائع .. وبمهارة أكثر منها للإنسان .. الذى يستخدم يديه .. أخذ منها المبضع الليزرى .. الذى سوف يجرى العملية الجراحية ..

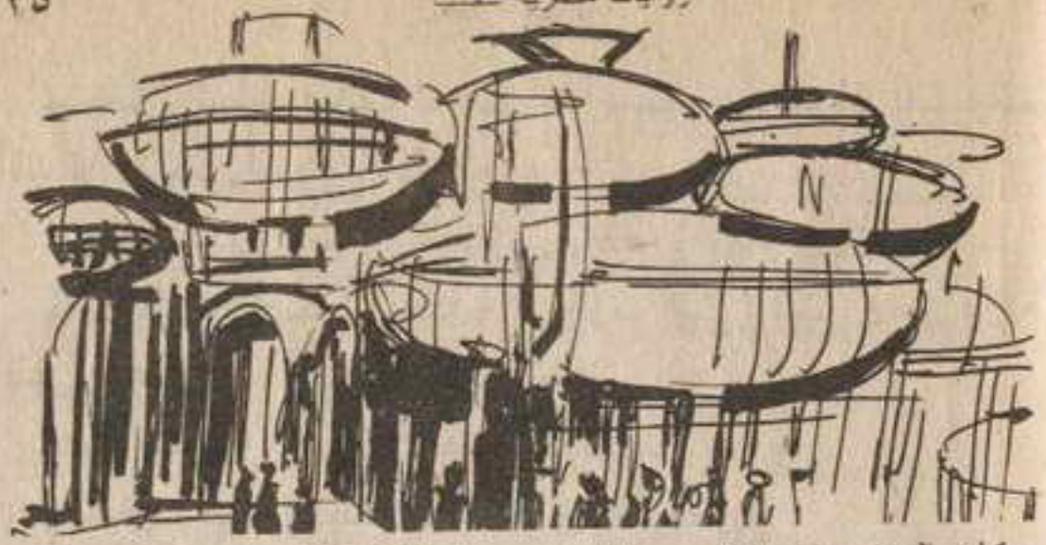

كان المصباح العلوى الذى يرسل الأشعة فوق البنفسجية .. ينبض .. ويعقم كل ما فى المختبر ..

وقام (نبيل) .. الذى كانت رؤيته أقوى .. ولمسته أوقع من أمهر جراح .. باستخدام المبضع الليزرى .. لإحداث قطع مبدئى فى جمجمة (أمجد) ..

لم يتحرك (عادل) بعد .. وظل وجهه جامدا .. وعنيدا كما كان .. ولكن بدا الشحوب فى وجهه .. وشىء من سيماء اليأس ..

قال (نبيل) فى رجاء :

ــ (عادل) !

وعندئذ تحرك (عادل) .. واقترب من المنضدة المعدنية .. ووضع يديه عليها .. بجوار رأس الرجل الميت .. ولاحظ (نبيل) ارتعادهما ..

قال (عادل) فجأة :

ــ لا أستطيع يا (نبيل) ! فلأول مرة أشعر بالخوف !

اقترب منه (نبيل) وقال :

ـ كابتن الفضاء خائف !! إننى لا أصدق.. وعمومًا فأنا أعلم أنك لن تتركنى أموت !

أمسك (عادل) بمبضع الليزر .. ببطء .. وكأنه رجل يحلم ..

خفت نظرة (فهد) المحدقة .. وأومأ إلى (نبيل) من وراء ظهر (عادل) .. وابتسم وجهه المعدنى ..

كانت ابتسامة مليئة بالإعجاب .. بكليهما ..

وانشغل (نبيل) بعدة أشياء أخرى .. ثم قال :

ـ (عادل) ! عليك بالاهتمام بشكل خاص .. بالحبل الشوكى .. والضفائر العصبية ..

قاطعه (عادل) وهو ما يزال غاضبًا :

ـ إننى أعرف كل هذا جيدًا ..

استمر (نبيل) فى حديثه :

ـ الضفيرة العنقية .. والعضدية .. والقطنية .. والعجزية ..

كانت الأمبولات والحقن موضوعة فى صف دقيق ..

وأردف (نبيل) بتؤدة :

ـ ها هو المخدر الذى سوف يدخل فى غشاءى الأم الجافية والأم الحنون .

أومأ (عادل) برأسه موافقًا وكانت يداه قد كفتا عن الارتعاد .. وأصبح الآن يعمل بمهارة .. وثقة .. وسرعة .. وتحول فمه إلى خط رفيع .. متجهم ..

حدث (نبيل) نفسه :

ـ سوف ينجح .. إنه دائمًا ينجح فى عمله ..

ثم جاءت لحظة انتظار .. وترقب ..

وسقطت نظرات (نبيل) على جسد (أمجد) ..

وفجأة تملكه الخوف والرعب .. مما كان مقدمًا عليه ..

كان راضيًا عن نفسه كما هى ..

ومنذ سنوات مضت .. كان عليه أن يختار بين الهلاك .. أو الوجود بالشكل الحالى .. ولم ينقذه فى ذلك الوقت .. سوى عبقرية والد (عادل) الذى أعطاه حياة جديدة .. وقد تأقلم (نبيل) وتعايش مع هذه الحياة .. برغم غرابتها .. بل واستخدمها .. وانتفع بها .. فلقد اكتشف مزايا شكله الجديد .. المهارات الفائقة .. والقدرة على التفكير الصافى بذهن لا يتأثر بنبضات الجسد غير المفيدة .. والتى لا يمكن السيطرة عليها .. وتعلم كيف يكون ممتنًا وشاكرًا لها ..

والآن .. وبعد كل هذه السنوات حدث نفسه :

إننى أيضًا خائف .. ليس من الموت .. وإنما من الحياة ! .. لكن كان تحت هذا الخوف .. رغبة شديدة لا تقاوم .. فى أن يكون إنسانًا مرة أخرى .. كائنًا من لحم ودم !

اضطرب العقل الصافى .. الدقيق .. المنطقى ..الذى لا يخفق تحت وقع كل هذه المخاوف .. الدفينة المختلطة ببعضها .. إذ قفزت جميعها من قبورها فى عقله الباطن .. لقد فوجئ بأنه يمكنه أن يصبح ضحية للعاطفة ..

وصاح صوت عقله :

ـ لا أستطيع أن أفعل هذا .. لا .. لا أستطيع ...

قال (عادل) بهدوء :

– (نبيل) .. استعد !

وببطء شديد .. تحرك (نبيل) .. وهبط .. ليتمدد بجوار جسد (أمجد) .. ورأى (فهد) يراقبه بنظرات تعبر عن الألم .. والفهم .. وأيضا الحسد .. إذ كون (فهد) روبوتا .. جعله يتمنى الحياة فى شكل بشرى !

كان وجه (عادل) .. كما لو قُدّ من الصخر ..

توقفت مضخة المصل عن حركتها الدائبة .. ثم دخل (نبيل) بهدوء ..فى غياهب الظلمات .. وأصبح تحت يد القدر ..

– ٤ –

أول ما شعر به .. الإحساس بالسمع .. مجموعة متداخلة من الأصوات القادمة من بعيد .. شبه المطموسة والكئيبة .. فكر (نبيل) فى أن خللا قد حاق بجهازه السمعى .. ثم اجتاحه تيار من الذكريات المثبطة .. وصاحب ذلك قشعريرة وغصة من الخوف .. وإحساس بالخطأ ..

خيم الظلام على المكان ..

ترى لماذا يجب أن يكون الجو مظلما هكذا .. فى سفينة الفضاء (الشهاب) ؟

ناداه شخص ما :

– (نبيل) .. (نبيل) ! افتح عينيك !

عينىَ !! .. ومرة أخرى شعر بالرعب الدفين يسرى فى كيانه .. كان ذهنه ثقيلا .. ورفض أن يعمل بسرعة كما توقف خفقان مضخة المصل !

حدث (نبيل) نفسه :

– توقفت مضخة المصل .. إذن سوف أموت ! عليه أن يصيح طلبا للمساعدة ..

وقد حدث هذا من قبل .. فى إحدى المغامرات .. وتمكن (عادل) من إنقاذه ..

صاح قائلا :

– (عادل) .. لقد توقفت مضخة المصل !

لم يكن الصوت الذى صدر هو صوته .. كما كانت نبراته غريبة ..

– إننى بجوارك يا (نبيل) .. افتح عينيك !

نبضت سلسلة طويلة من الخلايا الحركية غير المستخدمة ..عندما تكرر هذا الأمر .. الصادر اليها ..

وبدون أى تدخل للإرادة .. فتح جفنيه .. جفنى شخص ما .. لكنهما بالتأكيد ليسا جفنيه ! إذ لم يكن له أى جفون لسنوات طويلة ..

ورأى .. رؤية مماثلة للسمع .. خافتة غامضة .. غير واضحة ..

بدا له أن المختبر الذى يعرفه تماما يسبح فى جو من الضباب الأبيض .. المتذبذب ..

رأى وجه (عادل) و (فهد) .. ورجلا غريبا ..

لا .. ليس غريبا .. لقد كان له اسم .. إنه (تامر) ..

وبدأت سلسلة الذكريات تتداعى .. وعادت اليه الذاكرة كاملة .. أقلقته .. ومزقته ..

الآن .. يمكنه أن يشعر بالخوف .. والألم النفسى والجسدى . المصاحب له .. والعرق .. ودقات القلب .. والتقلص المؤلم للعضلات فى الجسم ..

سمع صوت (عادل) منخفضا .. ومتوترا :

ـ ارفع يدك يا (نبيل) .. يدك اليمنى .

رفع (نبيل) يده اليمنى .. وهو فى شك من أمره .. مثل أى طفل لم يتعلم بعد تناسق الحركة .. ثم رفع يده اليسرى .. ونظر إليهما مدة قصيرة وتركهما يسقطان .. وامتلأت عيناه بقطرات من الدموع المالحة .. وتذكرها ..

قال (عادل) باضطراب :

ـ إنك بخير وعلى ما يرام ..

وساعد (نبيل) على أن يرفع رأسه .. وأمسك بكوب شراب على شفتيه .. وسأله :

ـ هل تستطيع أن تشرب هذا ؟ إنه سوف يزيل الضباب من أمام عينيك .. ويعطيك ما تريد من القوة ..

كانت عملية شرب السائل .. مثيرة .. وغريبة .. وأزالت الجرعة التأثير الباقى للمخدر .. وأصبحت الرؤية والسمع واضحين .. وأحكم سيطرته على ذهنه ..

ظل (نبيل) ممددا فى سكون لعدة دقائق .. محاولاً أن يكيف نفسه .. مع كل الأحاسيس التى كاد أن ينساها عن الجسم البشرى ! الأحاسيس الصغيرة التى تنبض فى داخله .. الشعور برقة النسيم

عندما يمس الوجه فى الربيع .. الدفء والسعادة عند تحريك الشفتين .. ذاكرة النوم ..

أحس (نبيل) بالغرابة والدهشة ..

قال هامسا :

ـ أعطنى يدك يا (عادل) .. أريد أن أنهض ..

كان (عادل) واقفا عند أحد جانبيه .. و (فهد) فى الجانب الآخر.. ممسكا به جيدًا .. ونهض (نبيل) فى جسد (أمجد) من فوق المنضدة المعدنية .. التى كان راقدًا فوقها .. وانتصب فى وقفته .. رجلاً كاملاً !

وبجوار مدخل المختبر.. سقط (تامر) مغشيًا عليه !

نظر (نبيل) إلى الرجل القصير الممتلئ المكوم أمامه على الأرضية .. ووجهه ممتقع وشاحب .. وقال بصوت فيه رنة الرحمة والعطف :

ـ لقد قلت لك .. إن ذلك لن يكون سهلاً !

كان أمام (عادل) الكثير من الأمور التى يلزم تعلمها جيدًا ..

وقد بدا هذا الجسد الطويل الممشوق الذى يسكنه ثقيلاً .. ومربكا .. وبطيئا للغاية .. ومن الصعب السيطرة عليه .. وفى البداية كانت محاولاته للسير .. سلسلة من الترنحات والتخبطات الخرقاء .. بحيث اضطر للتشبث بأى شىء فى طريقه .. للحيلولة دون سقوطه على الأرضية .. ولكن عندما بدأ يسيطر على الكم المعقد من عظامه .. وعضلاته .. وأعصابه .. وجد (نبيل) نفسه .. يشعر بالسعادة لذلك ..

كانت الأنواع التى لا حصر لها.. من الانطباعات الحسية واللمسية .. والشعور بالحياة .. وبالدماء الدافئة التى تسرى فى عروقه .. والإحساس بالحرارة والبرودة .. والجوع .. والعطش .. ممتعة .. ورائعة .. بالنسبة له .. روعة الحياة ! وبعد أن شعر بأنه من لحم ودم .. ضم قبضتيه .. وحدّث نفسه ..

– ترى ماذا فعلت ؟ وما هو الجنون الذى قمت به ؟

ثم أدرك أنه يجب عليه ألا يفكر فى ذلك .. ولا فى نفسه .. فقط عليه أن يفكر فى المهمة الصعبة التى أمامه .. والتى سيؤديها نيابة عن (أمجد) ..الذى مات !

– ٥ –

أفاق (تامر) من إغمائه وغمغم قائلاً :

– إننى آسف .. الذى حدث أننى رأيته .. أقصد رأيتك وهذا .. لكنه لم يكمل .. وأردف :

– إننى بخير الآن .. ولا يوجد أى مبرر للقلق علىّ .

ولاحظ (نبيل) أنه يتعمد عدم النظر إليه .. ولكن منظره العنيد .. كان يؤكد صدق ما قاله .

قال (تامر) :

– يجب علينا العودة فى أسرع وقت .. فقد مضى زمن طويل منذ رحيلنا ..

وأضاف :

– لكن يبقى أمر مّا ! هل سوف نخبر (فادى) ؟

تساءل (عادل) :

– (فادى) !

– ابن (أمجد) الوحيد .. إنه فى الثالثة عشرة من عمره ..

قال (نبيل) ببطء :

– لا يوجد أى داع لإبلاغ الصبى .. ربما لن يفهم الأمر .. وسوف يتعرض للألم والعذاب .. وفى قرارة نفسه .. تمنى لو لم يكن لـ (أمجد) أى أبناء ..

تدخل (عادل) فى الحديث قائلا :

– (نبيل) .. لقد كنت أتحدث مع (تامر) .. إن المجلس الأعلى سوف ينعقد هذه الليلة .. بعد عدة ساعات .. وستضطر للذهاب بمفردك إلى المدينة الداخلية .. لأن (تامر) لن يسمح له بدخولها .. لكننى أنا و (فهد) سنحاول الوصول إلى مدينة (قمر زحل) .. والدخول سرًا إلى قاعة المجلس الأعلى ..

وناول (نبيل) شينين .. أسطوانة سمعية صغيرة أحادية الموجة .. وصندوقًا معدنيًا فضيًا .. لا تزيد مساحته على عشرة سنتيمترات مربعة .. وقال له :

– سوف نظل على اتصال لاسلكى بهذه الأسطوانة .. أما الصندوق فيمكنه أن يصدر ذبذبات صوتية غاية فى القوة ..

فحص (نبيل) الصندوق الصغير .. والمجموعة الداخلية البارعة .. المصفوفة من الرقاقات الإليكترونية .. ووحدات تشغيل الطاقة .. والشبكات المعقدة .. وقال مداعبًا :

– كان من الممكن تبسيط هذا التصميم يا (عادل !! لكن فى الظروف الراهنة فهو .. مجهود يستحق الإشادة .. وسوف يحقق

الغرض منه تماما .. إذا استدعت الظروف !

ردّ (عادل) وهو يبتسم :

ــ دعنا نأمل فى ألا نقابل مثل هذه الظروف ..

ثم نظر إلى (نبيل) .. وحملت عيناه فخرا عميقا .. وإعجابا شديدا .. وهو يستطرد :

ــ أتمنى لك حظا سعيدا ..

مدّ (نبيل) يده .. لقد مر وقت طويل جدًا .. منذ أن فعل ذلك من قبل .. وأدهشه أن يلاحظ اختلاج صوته وهو يقول :

ــ (عادل) انتبه لنفسك جيدًا ..

استدار وخرج من المختبر وهو غير متوازن تماما .. وسمع خلفه (عادل) يتحدث بصوت منخفض وقاس إلى (تامر) :

ــ إذا وقع له أى حادث .. لم تتدخل .. فسوف أقتلك بيدى هاتين !

ابتسم (نبيل) .. ثم لم يلبث (تامر) أن لحق به .. ومضيا معًا عبر الأشجار الطحلبية .. التى تتراقص أشباحها تحت ضوء الشمس الخافتة البعيدة ..

وبينما هما سائران تحدث (تامر) عن مدينة (قمر زحل) .. والرجال والنساء الذين يقيمون بها ..

أنصت (نبيل) إليه .. وهو يعلم أن حياته .. تتوقف على تذكر كل كلمة .. يسمعها منه .. لكن حتى هذه الضرورة .. لم تكن لتحتل أكثر من جزء بسيط من ذهنه .. فقد كان بقيته مشغولا بأمور أخرى ..

الرائحة النفاذة للتراب .. اللذعة الباردة للهواء فى الأماكن الظليلة .. دفء الشمس فى المناطق الخالية من الأشجار .. الحركة المعقدة للعضلات اللازمة لأخذ خطوة وراء أخرى .. معجزة التنفس .. والعرق .. وإمساك أى شىء بخمسة أصابع ذات أنامل .. كل الأشياء الصغيرة التى يأخذها الإنسان .. امر مسلم به .. الأمور البسيطة المعجزة ..الخارقة .. التى أنعم بها الله جل جلاله علينا .. ولا نلاحظها .. إلا بعد زوالها !

كان (نبيل) مبهورا .. ومأخوذا تماما .. بتدفق العواطف .. والانطباعات المؤثرة .. التى من الصعب مقاومتها .. أو الهروب منها ..

ثم لم يلبث أن جمع شتات شجاعته .. وعزيمته ..

وبمرور الوقت اعتاد على انحدار السلسلة الصخرية .. ووجد متعة فى صعوبة تسلقها ..

توقفا لالتقاط أنفاسهما ..

نظر (تامر) بانحراف إلى (نبيل) وعيناه تمتلئان فضولا .. وسأله :

ــ كيف تشعر الآن .. وقد أصبحت رجلا مرة أخرى ؟

لم يجبه (نبيل) .. لم يقدر على الإجابة .. ولم يجد الكلمات ..

استدار (تامر) فجأة .. كما لو كان خائفا مما قاله .. ومن كل الأشياء التى ينطوى عليها هذا السؤال .. ثم اندفع هابطا على المنحدر .. تجنبا للمرور بجانب مدينة (قمر زحل) .. وقال (تامر) .. :

– لا جدوى من البحث عن المتاعب !

وسلكا الطريق الوعر بعيدًا عن المدينة .. عبْر إحدى الوهاد .. شاهدا على البعد مستوطنة .. من المنازل المعدنية الرمادية .. فوق جزء مسطح من السلسلة الصخرية .. أسفل الفوهة السوداء لمناجم الذهب واليورانيوم ..

وظن (نبيل) أن المدينة كانت هادئة بشكل غير عادى ..

قال (تامر) :

– انظر إلى المتاريس التى فى الطرقات ! إنهم ينتظرون هبوط الليل .. عند سفح سلسلة الصخور .. وصلا إلى سهل مفتوح تتناثر فيه تجمعات من الشجيرات الرمادية المنخفضة .. ثم بدأ الرجلان فى عبور السهل متجهين إلى ضواحى مدينة (قمر زحل) .. وبمجرد أن اقتربا من منطقة معينة .. تحركت مجموعة من الرجال المهرولين .. لملاقاتهما .. ورأى (نبيل) أن الذى يتقدمهم .. صبى طويل أسود الشعر ..

همس (تامر) :

– هذا (فادى) ابنك ..

كان (فادى) بجلده الذهبى الفاتح .. ووجهه الذى يجمع بين وسامة (أمجد) .. وشىء من الجمال الرقيق .. وعينيه المباشرتين الآنفتين .. على نفس الصورة التى توقعها له (نبيل) ..

شعر بالذنب لحد ما .. وهو يحيى الصبى باسمه ولكن اختلط بهذا الشعور .. إحساس غريب بالكبرياء .. وحدث نفسه قائلاً :

– ياليت كان لى ابن مثل (فادى) .. فى الأيام الماضية قبل أن يحدث لى هذا التغيير !

ثم أردف يائسًا :

– يجب ألا أفكر فى هذه الأشياء ! إن جسمى البشرى يأخذنى إلى الماضى ؟

كان (فادى) لا يكاد يلتقط أنفاسه .. وبدت على وجهه علامات الأرق .. والقلق .. وهو يقول :

– أبى .. لقد قلبنا الوادى بحثًا عنك ! أين كنت ؟

بدأ (نبيل) يوضح له أنه كان مع (تامر) ..

لكن الصبى قاطعه .. وهو ينتقل من موضوع لآخر .. وسط سيل لا ينقطع من الكلمات :

– لقد خشينا أن يكون قد حدث لك مكروه .. وبينما كنت مختفيًا قدموا موعد انعقادالمجلس ! وتمنوا ألا تعود قط .. أو تكون عودتك متأخرة جدًا .

ثم تشبثت يد (فادى) الغضة القوية بذراع (نبيل) وقال له :

– إنهم مجتمعون الآن فى قاعة المجلس ! ولعل مازال أمامنا فسحة من الوقت .. لكن علينا أن نسرع !

نظر (تامر) بتجهم فوق رأس الصبى إلى (نبيل) وقال :

– لقد حان وقت العمل !

ثم أسرعوا جميعًا إلى داخل المدينة ..

كانت المنازل بيضاوية .. مبنية من الطوب الرمادى .. ويرتفع عاليًا فوقها سور المدينة الداخلية .. وتعلوه .. السقوف والأبراج

الضخمة الرابضة .. للقصور والمعابد .. المدهونة باللونين الأصفر والقرمزى ..

ملأ (نبيل) رئتيه بروائح الطعام والدخان المتصاعد من نيران الطهى ، والأجسام المدهونة بالعطر والمسك .. والطوب القديم المتفتت بتأثير الشمس النانية.. والحيوانات ذات السلالات غير المعروفة التى تملأ الحظائر ..

ثم أنصت إلى وقع أقدامه .. وهى ترن فوق الأرضية الصخرية .. وأحس بالنسمة الباردة وهى تهب على وجهه المبلل بالعرق .. وأخذته الإثارة مرة أخرى .. واقترن بها نوع من الرهبة .. إزاء روعة الحواس البشرية ..

خطر لـ (نبيل) أن شيئًا آخر .. كان موجودًا فى هواء مدينة (قمر زحل) .. شىء اسمه الخوف !!

وصلوا أخيرًا إلى أبواب السور الداخلى ..

وهنا تقهقر (تامر) والرجال الآخرون .. امتثالاً لتعليمات الحراس .. بينما تقدم (نبيل) و (فادى) .. بمفردهما ..

كان المعبد والقصر يرتفعان شامخين فوق السور .. فى مهابة وقوة .. ويحملان رسومًا تاريخية .. لبطولات ملوك مدينة (قمر زحل) .. ولم يكن (نبيل) ينتبه لها .. إذ أخذت الآن أعصابه تتوتر .. فقد بدأ الاختبار .. قبل أن يكون مستعدًا تمامًا له ! كان هذا هو الوقت الذى يجب ألا يتردد .. أو يتلعثم فيه .. وإلا دخلت قيثارات الموت .. إلى مدينة (قمر زحل) ! وحدثت الكارثة المحققة !

ظهر برجان مستديران من الطوب ومدخل ضخم منخفض .. وأضيئت القاعة الداخلية بالمصابيح .. ووهج الضوء الأحمر .. يلمع على الأجسام النحاسية .. وعلى الأثواب الموشاة الطقوسية التى يرتديها المستشارون .. والخوذات الفضية ذات الشكل البدائى .. تتألق هنا وهناك ..

أخذت الأصوات تعلو .. وتتداخل .. وكان إحساس (نبيل) بالتوتر كبيرًا .. لدرجة أنه كاد أن يصرخ !

ضغط (فادى) على ذراعه .. وقال شيئًا لم يعه (نبيل) .. لكن الابتسامة .. ونظرات الحب والفخر .. لا يمكن أن تخطئهما العين .. ثم ذهب الصبى إلى المقاعد العالية التى فى الركن الأيمن للقاعة ..

ووقف (نبيل) بمفرده !

وفى أحد جانبى القاعة المستطيلة .. وبجوار العرش العالى المطلى بالذهب والخاص بالملك .. رأى مجموعة من الرجال ممن يرتدون الخوذات الفضية .. وهم ينظرون إليه بكراهية .. لم يستطيعوا إخفاءها ، ومعها إزدراء لا ينشأ عادة إلا بعد الانتصار !

وفجأة .. ومن بين الحشود الكثيفة التى أمامه .. خطا رجل عجوز إلى ناحية (نبيل) .. له لحية بيضاء صغيرة .. ووضع يديه على كتفيه .. وحدق فيه بعينين مكروبتين .. وقال له بصوت أجش .. هامس :

لقد تأخرت جدًا يا (أمجد) .. وضاع كل شىء عبثًا .. إنهم أحضروا قيثارات الموت هنا فى مدينة (قمر زحل) !

ـ ٦ ـ

شعر (نبيل) برغبة شديدة فى التراجع .. فلم يكن يريد أن يحدث هذا .. لم يتوقع ذلك الآن .. إذ سوف يطلب منه فى الحال .. مواجهة قيثارات الموت ! لقد قابلهم مرة قبل ذلك .. منذ سنوات .. وكانت تجربة رهيبة .. إذ إنه يعرف مدى خطورتها .. ومكرها .. وتذكر أنه صدم وقتئذ .. لأنه كان مجرد عقل حرّ .. مجرد ..

أما الآن .. فلا يدرى ما الذى سوف يقدر له .. وقد عاد مرة أخرى إلى الجسد البشرى ..الحساس .. الغامض ..

قبضت يد (نبيل) بقوة على الصندوق المعدنى الصغير فى جيبه .. يجب أن يجازف بالاعتقاد .. بأنه سوف يحميه من قيثارات الموت .. ولكن بعد أن تذكر ما حدث منذ سنوات .. خشى من التعرض للاختبار ..!

سأل المستشار العجوز :

ـ كيف علمت بأمر قيثارات الموت ؟

رد عليه بسرعة :

ـ (تيمور) واثنان آخران .. شوهدوا وقت الفجر .. عائدين من الغابة .. وكل منهم يحمل شيئًا يخفيه .. وكانوا جميعًا يرتدون خوذات الصمت ..

وأشار المستشار العجوز .. إلى جماعة من الرجال يقفون بجوار عرش الملك .. وينظرون بحقد المنتصرين .. إلى من يعتقدون أنه (أمجد) .

ثم أردف قائلاً :

ـ انظر .. إنهم ما يزالون يرتدونها .

وبسرعة درس (نبيل) خوذات الصمت ..

من النظرة الأولى بدا أنها لا تزيد على كونها .. خوذات قتال برونزية عادية لمقاتل بربرىّ .. لكنها ذات تصميم غريب .. يغطى الأذنين ومنطقة الجمجمة كلها .. وحجمها كبير جدًا .. كما لو كانت مبطنة بعدة طبقات من مواد عازلة للصوت .. خوذات الصمت !

عرف (نبيل) الآن .. أن (أمجد) كان على حق .. عندما تحدث عن وجود وسيلة قديمة للحماية .. استخدمت منذ زمن طويل بمعرفة رجال مدينة (قمر زحل) .. ضد قيثارات الموت !

* * *

وقف الملك على عرشه ..

وسرعان ما تلاشى اللغط العصبى .. إلى مجرد توتر مكبوت ..

كان شابًا يافعًا .. صغيرًا .. ومرتعدًا .. وتبدو على وجهه علامات الضعف والعناد .. مختلطة ببعضها .. أما رأسه فكان عاريًا ..

تحدث قائلاً :

ـ لقد تساهلنا نحن أهل (قمر زحل) كثيرًا مع الغرباء فى وادينا .. بل إننا قاسينا من جلوس أحدهم فى هذا المجلس .. والتأثير فى قراراتنا .

وهنا التفتت جميع الرءوس فى قلق تجاه (نبيل) .. واستطرد الملك :

ـ إن أساليب الغرباء تؤثر بشكل متزايد على أرواح شعبنا ـ لهذا يجب أن يذهبوا جميعًا .. ونظرًا لأنهم رفضوا .. فلابد من طردهم بالقوة !

وبدا أنه قد حفظ هذه الكلمات عن ظهر قلب .. دون أن يفهمها !

عرف (نبيل) ذلك .. من الطريقة التى تلعثم بها .. وبالنظرات التى تطلعت بها عيناه إلى أطول الرجال المرتدين العباءات السوداء .. وخوذات الصمت .. من أجل الحث .. والتشجيع ..

الرجل المتجهم الطويل القامة .. الذى أيقن (نبيل) من وصف (تامر) أنه (تيمور) أعدى أعداء (أمجد) :

ـ إننا لا نستطيع طرد أهل الأرض .. بأسهمنا وحرابنا .. فأسلحتهم هى الأخرى قوية .. ونحن أيضًا لدينا سلاح لا يستطيعون حياله شيئًا ! وكان هذا السلاح محرمًا علينا من الملوك الضعفاء السابقين .. الذين كانو يخشون من استخدامه ضدهم .. أما الآن فلابد من استخدامه .. ولذلك فإننى أطلب رفع التحريم القديم ! وأطلب الاستعانة بقوة قيثارات الموت .. لطرد أهل الأرض نهائيًا !

ساد القاعة صمت كئيب متوتر .. وشاهد (نبيل) رجالاً ينظرون إليه .. والثقة المتحمسة فى عينى (فادى) الصغير .. وعرف أنهم وضعوا داخله آخر أمل يانس لهم بمنع استخدام سلاح قيثارات الموت ..

وأدرك (نبيل) أن عليه القيام بالمهمة بمفرده .. إذ ربما لا يتمكن (عادل) و (فهد) من الوصول سرًا .. إلى قاعة المجلس !

تحرك (نبيل) بخطوات واسعة إلى الأمام .. ونظر حوله .. ثم أحس بنوع ما من الفخر والكبرياء الشديدين .. وانعكس ذلك فى قوة .. وجهارة صوته .. وهو يقول :

ـ ليس صحيحًا أن الملك يخاف .. ولا أهل كوكب الأرض ! وإنما (تيمور) . إذ إنه ليس مهتمًا بتحرير مدينة (قمر زحل) من عبوديتها الأسطورية .. وإنما بغرض سيطرته هو على رقابنا جميعًا ..

سادت لحظات من الصمت التام ، حدق خلالها الجميع فيه مشدوهين .. خاصة الملك والمستشارين .

ووسط هذا السكون المطبق .. استطرد (نبيل) مؤكدًا :

ـ إننى أتحدث لصالح المجلس .. يجب ألا يحدث أى رفع للتحريم .. ومن يُدخل القيثارات إلى مدينتنا .. سوف يتعرض لعقوبة الموت !

للحظات قصيرة .. استعاد المستشارون شجاعتهم .. وعبّروا عن ذلك .. إذ ضجت القاعة بالهتاف ..

وفى ظل هذا الضجيج .. انحنى (تيمور) وتحدث فى أذن الملك .. ورأى (نبيل) أن وجه الملك .. ازداد شحوبًا ..!

ومن وراء العرش العالى .. رفع (تيمور) خوذة مرصعة بالذهب والجواهر الثمينة .. ووضعها على رأس الملك ..

خوذة الصمت !

تحدث الملك بصوت أجش .. مرتعد :

ـ لصالح مدينة (قمر زحل) .. أعلن حلّ مجلس المستشارين !

خطا (تيمور) إلى الأمام .. ونظر مباشرة إلى (نبيل) .. وابتسمت عيناه وهو يقول :

ــ لقد توقعنا خططك الغادرة يا (أمجد) .. ولذلك حضرنا إلى هنا .. مستعدين لها !

وأزاح عباءته السوداء .. إلى الخلف .. وتحتها فى منحنى ذراعه الأيسر .. كان شىء مّا ملفوف فى الحرير الأحمر ..

تقهقر (نبيل) بغزيرته إلى الوراء .. وفض (تيمور) اللفافة الحريرية .. وظهر فى يده طائر حىّ .. يشبه الحمامة .. ريشه فضى متألق .. وماسى وردى .. وعيناه رقيقتان واسعتان .. إنه يعيش فى مناطق معينة بالغابات الشاسعة .. فوق القمر (تيتان) .. كائن رقيق .. يحمل فى باطنه الدمار .. شيطان الغضب .. والهلاك .. إنه قيثارة الموت !

ارتفع صوت أنين منخفض بين المستشارين .. وبدأت أجسامهم تغير اتجاهها وتتمايل وتأخذ وضع الفرار ..

لكن الحراس منعوهم من الخروج .. من القاعة ..

ثم قال (تيمور) بحدة :

ــ إهدءوا .. ما يزال هناك وقت كاف للفرار .. عندما أصدر أوامرى لكم بالخروج من القاعة !

جلس المستشارون ساكنين وكذلك قبع الملك صامتًا .. شاحب الوجه .. فوق عرشه الذهبى .

وشاهد (نبيل) فى المقاعد العالية .. (فادى) ينحنى إلى الأمام .. مشتاقًا إلى معرفة ما سوف يفعله الرجل الذى يظن أنه والده .. ووجهه مضىء بإيمان .. وبراءة الأطفال ..

حرك (تيمور) يده حركة منتظمة متكررة .. على جسم المخلوق الطائر الذى فى يده .. ورأسه منحن قريبا منه .. وبدا الريش حول رقبة الطائر .. ينتصب ويتحرك ببطء .. ثم نبض الجسم الفضى .. الماسى .. الوردى .. وانطلقت منه نغمات موسيقية .. تشبه صوت القيثارة الخافت .. نغمات فائقة العذوبة .. تأتى من بعيد ..

لمعت عينا القيثارة .. كانت تبدو سعيدة .. وممتنة لتحريرها من اللفافة الحريرية .. التى شلت فاعلية أغشيتها .. ومنعتها من إصدار النغمات الموسيقية ..

واستمر (تيمور) يمسح على جسمها برقة .. واستجابت له .. بإطلاق سيل من النغمات المتغيرة نغمات سائلة .. تجرى وتتماوج .. وتتقطر على الهواء الساكن ..

أخرج رجلان آخران من الذين يرتدون خوذات الصمت .. طائرين فضيين .. من تحت عباءتيهما .. وبدءا فى إصدار نغماتهما .. فى البداية برقة ..ثم بشدة أكبر .. وأكبر .. حتى امتلأت جنبات قاعة المجلس بنغمات القيثارات الثلاث .. الغريبة .. العاصفة ..

ووقف الحاضرون ساكنين .. بعد أن سلبت عقولهم .. ولم يعد فى وسعهم الحركة ..

حتى (نبيل) لم يسلم من الخضوع لتأثير هذا المد القوى من الأصوات .. المثيرة للمشاعر .. وشعر بجسده يستجيب لها .. وكل خلية عصبية فى داخله .. ترتعش بلذة تقرب من الألم ..

كان قد نسى تأثير الموسيقى على الإحساس البشرى ، أما الآن فقد انفتحت فجأة جميع البوابات الوجدانية .. ما بين العقل .. والجسم .. والتى طال إغلاقها .. تحت تأثير تلك الألحان الرائعة .. التى تعزفها القيثارات .. وانطلق صوت الحياة .. الجميل .. العفوى من عقاله .. وملأت الموسيقى عقل (نبيل) بنهم حاد .. لشىء لم يعرفه من قبل .. وطاف ذهنه فى ممرات غامضة .. مكتظة بالأشباح .. وخفق قلبه بفرحة وقور .. تقرب من البكاء .. وكأنه فى حالة حب !

وقف (نبيل) مشدوها بالأنغام العذبة للقيثارات .. ساكنا .. حالما .. ناسيا كل خوف وخطر .. تذكر فقط أن هذه الموسيقى .. تنطوى على شىء ما .. هو سر الوجود كله ! وأنه على وشك إدراك سرّ هذا اللحن العجيب ! لحن لكونٍ خُلق حديثا ..

يصيح فى فرح .. أول صيحة له .. بعد ولادته .. بالانفجار الأعظم .. لحن لشموس شابة تدعو إليها فى قوة .. ومهابة .. مجموعة هادرة من أصوات النجوم .. وهمسات الكواكب الدوّارة .

لحن الحياة .. والنمو .. والازدهار .. لكل مجرّة فى الكون ..!

شىء ما فى عقل (نبيل) المنتشى .. حذره من الوقوع فى شرك مصيدة التنويم المغناطيسى .. للصوت .. ومن أنه يسقط أكثر فأكثر ..فى قبضة القيثارات .. لكنه لم يستطع كسر سحر هذا اللحن الأسطورى .. الكونى ..

أغنية سامية .. تشدو بها ورقة الشجرة وهى ترتوى من أشعة الشمس ..

الطائر وهو يثب فوق الأغصان .. عند الفجر ..

والحيوان الذى يحتضن صغاره .. فى دفء جحره ..

والمعجزة الشابة .. المشرقة للحب .. والسعادة .. والولادة .. والحياة !

ثم فجأة تغيرت النغمات .. وغاب عنها الجمال والفرحة .. وبدأت تعبر عن الرعب المتزايد .. المتزايد ..

بدا لـ (نبيل) أن (تيمور) .. كان يتحدث للطائر الفضى الذى يمسكه فى يده .. وأن العينين الرقيقتين للقيثارة .. كانتا خائفتين .. وظهر أن العقل البسيط للمخلوق الرقيق .. حسّاس للومضات التخاطرية عن بعد ..

وكان (تيمور) يملأ خواءها بأفكار عن الخطر .. والرعب .. والألم .. والعذاب .. بحيث أن أغشيتها أصدرت نغمات قوية مختلفة .

التقطت القيثارتان الأخريان هذه النغمات .. ثم تمايلت واهتزت القيثارات الثلاث .. وتداخلت إيقاعاتها .. حتى أصبحت نغمات راعدة .. تثير كل أنواع المخاوف ..

الخوف من الاحتضار .. والموت .. الذى يشكل دائما الخلفية البرّاقة للحياة !

الرعب من الأعماق الكئيبة للظلام .. والألم .. والتى تمتلئ بالأشباح المتماوجة ..

هذه النغمات الموسيقية المخيفة .. المملوءة بمشاعر الرعب ضربت بأصابع الخوف البارد .. على أوتار القلوب !

وهرب (نبيل) منها ..لم يستطع أن يتحملها .. كان يدرك أنه لو سمعها .. فلا ريب أنه سوف يجن !

عرف بشكل مبهم .. الرعب الذى ساد بين المستشارين الآخرين من تقلصات وجوههم .. والحركات العصبية لأيديهم ..

حاول أن يصرخ .. لكن صوته تاه بين الصراخ العالى للقيثارات .. الذى أصبح عذابا حقيقيًا للجسد !

كان (تيمور) ما يزال منحنيا على القيثارة الحية .. التى أصبحت قاسية العينين .. يدفعها إلى الجنون .. تحت تأثير وقوة إيحاء عقله ..

واستمرت القيثارات فى الصراخ ..

وزادت شدة الأصوات .. حتى تجاوزت أقصى قدرة للسمع .. وأصبحت النغمات فوق الصوتية .. تطعن الذهن .. كما لو كانت سكاكين حادة !

اندفع رجل من جوار (نبيل) .. وتبعه ثان وثالث ثم آخرون .. وهم يتخبطون .. ويسقطون .. ويصرخون .. وسط سُعار الخوف . والرعب .. وكان عليه أيضا أن يهرب من هذا الجنون ..

لا .. إنه لن يفرّ !

شىء ما .. منعه من الهروب ..

تصلبت أفكاره الباطنية .. وتجمدت .. إثر فراقه الطويل .. للجسم البشرى ..

وأفاده هذا بأن ساعده على المقاومة .. بكل إرادته .. للرجوع إلى حالة التوازن .. وأدى ارتعاد يده إلى تحرير قبضتها .. على الصندوق المعدنى الصغير .. واهتز قفله ..

وببطء أصدر الصندوق .. صوتا شديدا حادًا .. أخذ فى الازدياد بسرعة ..

كان (عادل) قد قال له :

ـ إنه السلاح الوحيد ضد قيثارات الموت ! فالشىء الوحيد الذى يحطم الصوت .. هو الصوت !

وصل الصوت الطارد للصندوق المعدنى .. إلى أعلى ذبذباته الحادة .. وانشب مخالبه فى لحن القيثارات المرعب .. وأمسك بتلابيبه .. وأخذ يحطمه بقسوة .. وفعلا نجح أخيرا فى كسر حدته .. عن طريق التداخل الصوتى .. وحوّله إلى مجرد أصوات صراخ متنافرة !

تحرك (نبيل) بخطوات واسعة إلى الأمام .. تجاه العرش والملك .. و (تيمور) ..

والآن .. جاء من عينى (تيمور) شك مميت .. وحقد بالغ !

وبعد أن أصبحت القيثارات شرسة .. وخانقة .. كافحت ضد الصوت الشديد .. القوى .. الذى أفسد لحنها .. وحوله إلى نشاز لا يطاق ..

وازدادت حدة الصراع الصوتى الهادر .. الذى تجاوز مستوى السمع !

وشعر (نبيل) بجسده يتمزق .. ويرتعد بهزات عنيفة .. أخذ يترنح .. ولكنه استمر يتقدم إلى الأمام ..

كانت وجوه (تيمور) والآخرين .. تعبر عن قمة العذاب .. والألم ..

بل إن الملك فقد الوعى .. فوق عرشه ..

صرخت عاصفة من الإيقاعات المحطمة .. المبعثرة .. المتناثرة .. لأصوات ممزقة ..

وبدا ذهن (نبيل) فى الشرود .. وهو يعلم أنه لن يتمكن من تحمل المزيد .. من هذا ..

وفجأة .. انتهى كل شىء ..

فبعد أن هزمت فيثارات الموت .. واستنفدت كل جهدها .. أوقفت كل النغمات الشريرة لأغشيتها .. وقبعت فى صمت تام .. وسكون مطبق .. بين أيدى حراسها .. وعيونها الوديعة .. تحدق فى رعب .. لا حيلة لها فيه ..

ضحك (نبيل) بعصبية .. وتمايل قليلا على قدميه .. بعد أن عاد إليه توازنه ..

وقال لـ (تيمور) :

ـ إن سلاحى أقوى من سلاحكم !

أسقط (تيمور) القيثارة .. التى زحفت بعيدًا .. حتى اختبأت تحت العرش ..

وهمس بحقد :

ـ إذن يجب أن ناخذه منكم .. يا أهل الأرض !

ووثب بسرعة تجاه (نبيل) .. وجاء على إثره الآخرون .. وقد أعماهم غضب الهزيمة .. فى الوقت الذى كانوا واثقين فيه من النصر .. على أهل كوكب الأرض ..

خطف (نبيل) الأسطوانة السمعية .. ورفعها إلى شفتيه .. وضغط على زرها .. وصرخ بكلمة واحدة :

ـ أسرع !

شعر بأن الوقت قد تأخر كثيرا .. ولكن ليس حتى هذه اللحظة .. حيث هزم الخوف .. والرعب ..

وتساءل (نبيل) فى حيرة :

ـ ترى هل يتمكن (عادل) و (فهد) من دخول هذا المكان الممنوع .. ويتمكنا من إنقاذنا ؟!

ـ ٧ ـ

انحنى (نبيل) لأسفل .. ليتفادى المهاجم الذى وثب عليه ..

وبينما هو يهبط .. رأى المستشارين الذين فروا .. يعودون مسرعين لنجدته ..

سمع أصوات صياحهم .. وشاهد الصبى (فادى) بينهم .

وفجأة .. اصطدم شىء مّا بعنف برأسه .. ثم جثم عليه وزن هائل ..

صرخ شخص مّا .. ورأى لمعان الخناجر الحادة على ضوء المصابيح الخافتة ..

حاول أن ينهض .. ولكنه لم يستطع .. كاد أن يفقد وعيه .. ولم يدر إلا بوجود فوضى من الحركات .. ولمعان الخناجر .. والأصوات الحادة ..

شم رائحة الدم .. وأحس بالألم ..

لابد أنه تحرك .. لأنه وجد نفسه مرتكزًا على يديه .. وقدميه .. ينظر إلى وجه (فادى) الراقد أمامه .. كان نصل خنجر نحاسى .. منتصبا خارجا من صدر الصبى .. وخيط من الدم الأحمر القانى ..

عبر جلده الذهبى .. قابلت عيناه شبه المغمضتين .. عينى (نبيل) فى نظرة تائهة .. تعبر عن الألم .. همس فى وهن :

- أبى !

احتضنه (نبيل) بقوة ..

غمغم (فادى) مرة أخرى .. ثم تأوه ..

واستمر (نبيل) يحتضنه .. برغم أن الصبى أصبح ثقيلاً جدًا .. على ذراعيه المصابتين .. وبدت عيناه فارغتين .. تحدقان فى لاشىء ..!

* * *

اعتقد (نبيل) أن القاعة قد أصبحت هادئة ..

ثم تحدث صوت إليه ..

فرفع رأسه .. ورأى (عادل) واقفًا بجواره .. ومعه (فهد) .. كانا يحدقان فى وجهه .. لم يستطع أن يشاهدهما بوضوح .. إذ كانت الدموع فى عينيه !

قال بصوت مفعم بالأسى :

- لقد ظن الصبى أننى أبوه .. فتشبث بحضنى .. وناداني بكلمة (أبى) .. وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

حمل (فهد) جسد (فادى) .. ووضعه برفق فوق الأرضية الملساء ..

نهض (نبيل) ببطء وشاهد (تيمور) ورجاله .. كلهم موتى .. وعرف أن (عادل) و (فهد) انتقما منهم .. أولئك الذين حاولوا زيادة الكراهية .. هلكوا ..

ولن يمكن لقيثارات الموت .. أن تظهر بعد ذلك فى مدينة (قمر زحل) أبدًا ..

هذا هو ما كان يقوله المستشارون الشاحبون .. المرتعدون .. من حوله .. لم يستطع سماعهم جيدًا..

فما زالت فى أذنيه الهمسات الخافتة .. لصبى يحتضر !

* * *

استدار (نبيل) وسار خارجًا من قاعة المجلس .. ووصل إلى الدرج المرمرى ..

كان الظلام قد أسدل أستاره .. وأضيئت المصابيح .. وبدأت الرياح الباردة تهب .. وشعر بالتعب والإجهاد الشديدين ..

نظر (نبيل) إلى (عادل) وقال بضعف :

- سوف أذهب إلى سفينة الفضاء !

شاهد فى عينى (عادل) السؤال الذى لم يجرؤ قط على الإفصاح عنه ..

هز رأسه واستطرد قائلاً :

- سأعود إلى ما كنت عليه .. فلا أستطيع أن أتحمل عذاب .. وألم حياة بشرية ثانية .. لا لن يحدث هذا !

لم يجبه (عادل) .. وإنما أمسك بذراعه .. وسارا معًا عبر الفناء .. وجاء وراءهما (فهد) وهو يحمل فى يديه برقة .. ثلاثة كائنات ذات لون فضى وماسى وردى .. بدأت تطلق سلسلة من النغمات الموسيقية الخافتة والعذبة .. ثم أخذت ترتفع .. لتعبر عن سعادة المسجونين الذين نالوا حريتهم أخيرًا ..

دفنوا جثة (أمجد) فى المنطقة الخالية من الأشجار الطحلبية .. فى نفس المكان الذى مات فيه .. ورقد بجواره ابنه (فادى) ..

وبنى (عادل) و (فهد) فوقهما شاهدا حجريًا بمساعدة (تامر) .

ومن بين الظلال لمح (عادل) .. صندوقًا معدنيًا صغيرًا ..

يحلق فى الفضاء .. فوق أشعة كهرومغناطيسية خافتة .. صامتة .. عبارة عن عقل حرّ .. مجرّد .. مرة أخرى .. قطع إلى الأبد .. كل علاقة له بالبشر .. وآلامهم .. وأحزانهم ..

لقد نجحوا فى مهمتهم ..

وافترقوا عن (تامر) ..

وساروا خلال الأشجار الطحلبية العملاقة .. الهامسة .. فى طريقهم إلى سفينة الفضاء (الشهاب) ..

تمهل (عادل) و (فهد) ونظرا وراءهما إلى البرج الحجرى العالى .. الذى يضم قاعة المجلس .. المبنى الوحيد الذى يطل عليه كوكب (زحل) .. وحلقاته النارية ..

لكن (نبيل) لم ينظر وراءه ..

فقد كان فى العقل الحرّ ..المجرّد .. خيوط ألم ..

وصورة صبى .. يحتضر .. ويهمس :

– أبى !

* * *

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

مكوك الفضاء الأخير

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

(إعداد)

تنهدت (سلوى مراد) قائدة مكوك الفضاء (ابن الهيثم) قائلة :

– لابد أن تكون هناك مرة أخيرة !

بدا القلق فى عينيها العسليتين الواسعتين .. وهى تنظر بعيدًا إلى البحر المتلألئ فى ضوء الشمس الدافئة ..

أردفت بعد عدة لحظات :

– ... على الأقل لدينا يوم رائع لذلك .. برغم أن عاصفة ثلجية سوف تناسب مزاجى بشكل أفضل كثيرًا !

نظر إليها (ماجد حسنى).. وكان يعمل كبيرًا لموظفى وكالة الفضاء الأرضى .. قال بدون أى تعاطف معها :

– أرجوك لا داعى لهذا التفكير المأساوى .. لقد قلت هذا بنفسك .. لابد من وجود مرة أخيرة !

سألته فى حيرة :

– لكن لماذا يحدث ذلك وأنا قائدة لمكوك الفضاء ؟

رد عليها بسرعة :

– لأنك أفضل قائد لدينا .. ونحن نريد أن ننتهى من ذلك بسرعة .. وبدون أن نرتكب أى أخطاء .. أتمنى لك حظًا سعيدًا .

قالت بسخرية على الرغم منها :

– حظًا سعيدًا !

وأخذت تدرس التحميل المكثف للشحنة .. وعدد الركاب .. آخر الشحنات .. وآخر مجموعة من الركاب ..

لقد قضت (سلوى) أكثر من عشرين عامًا .. فى قيادة مكوكات الفضاء .. وهى تعلم طوال هذا الوقت .. أنه لابد من مواجهة آخر رحلة لها فى وقت مّا.. وربما تعتقد أن المعرفة العلمية الطويلة .. والخبرات المتلاحقة..قد أصابتها بالشيخوخة .. لكن الشعر الأشيب لم يغز رأسها بعد .. ولم تتخلل التجاعيد قسمات وجهها .. لعل حياتها تحت تأثير الجاذبية الكثيفة دائمة التغير .. أثرت لحد ما فى ذلك .

بدت (سلوى) متمردة وهى تقول :

– يبدو لى أنه سوف يكون سخرية القدر .. أو لنقل من عدالة القدر .. لو انفجر هذا المكوك الأخير .. فى أثناء انطلاقه فى الفضاء .. سيكون ذلك بمثابة احتجاج من كوكب الأرض .. ذاته !

هز (ماجد) رأسه وقال :

– الواقع أننى سوف أسجل كل ذلك فى تقريرى .. لكننى أرى أنك تعانين حالة حنين شديد .. إلى الماضى !

ردت عليه بحدة :

– حسن اكتب هذا فى تقريرك .. أريد منهم أن يعتبرونى غير لائقة لقيادة سفن الفضاء بصفة عامة .. ويمكننى أن أسافر كأى راكب آخر .. على أن يقود مكوك الفضاء أى قائد كفء .. ويدخل كتب التاريخ باعتباره ...

قاطعها قائلاً :

– حسن .. لن أكتب تقريرًا عنك .. فرحلات الفضاء لا تقابلها أى عقبات ..

تجهم وجه (سلوى) وقالت :

ــ ليس دائما .. ولا تنس ما حدث لمكوك الفضاء (الخازن) ..

قال (ماجد) بتودة :

ــ لقد حدث ذلك منذ خمسين عاما .. والآن بمساعدة مضادات الجاذبية .. لم تقع أى حادثة فضائية .. وانتهت إلى الأبد .. ضوضاء انطلاق الصواريخ ..

تريث لبرهة ثم استطرد قائلا :

ــ ... (سلوى) أنصتى إلىّ .. يجدر بك أن تصعدى إلى غرفة القيادة .. فسوف ينطلق مكوك الفضاء بعد أقل من نصف ساعة..

ردت قائلة :

ــ تعلم أن انطلاق المكوك الفضائى أصبح آليًا تمامًا .. ولم تعد هناك حاجة إلىّ !

نظر إليها وقال هامسًا :

ــ لكن ظهورك على منصة قائد المكوك .. أمر تحتمه اللوائح والقوانين .. والتقاليد ..

تنهدت وهى تقول :

ــ يبدو أنك أيضا تشعر بالحنين إلى الماضى .. إلى زمن كان لقائد مكوك الفضاء دور مهم ..

ثم أردفت بعد فترة :

ــ ... لكننى سوف أذهب !

تذكرت (سلوى) أيام شبابها .. إبان الرحلات الفضائية ..

وقت تجربة مضادات الجاذبية .. التى كانت تحتاج لتجهيزات أرضية .. أكبر من المكوك ذاته .. وفى ذلك الوقت .. كان مكوك الفضاء يرتج بعنف .. وكانت القوى العاملة فى الفضاء .. تفضل الرافعات التقليدية ..

أما الآن .. فقد تم تصغير أجهزة مضادات الجاذبية بحيث أمكن لكل سفينة فضاء حملها معها .. ولم تفشل مرة واحدة ..

واستخدمت للركاب الذين اعتبروها أمرًا مسلمًا به ..

وكذلك لشحنات البضائع .. التى تنقل إلى كواكب المنظومة الشمسية .. بمساعدة نافورات الهواء غير الاحتكاكية .. والسباحة المغناطيسية لطاقم سفن الفضاء .. الذين يعرفون تمامًا كيفية التعامل مع الأجسام الكبيرة .. فى حالة انعدام الوزن .. ولكن ذات قصور كامل !

لم يخترع الإنسان أى مركبة فضائية أخرى .. أكثر روعة وتعقيدًا .. أو تعمل بهذه الدقة بوساطة الكمبيوتر .. مثل مكوك الفضاء ..

إذ لم تضطر السفن الفضائية الحديثة لمحاربة جاذبية كوكب الأرض .. باستثناء تلك المركبات الأولى التى استخدمت صواريخ الدفع بالوقود الجامد أو السائل ..

كانت عبارة عن ديناصورات بدائية !

* * *

امتلأت غرفة قيادة مكوك الفضاء الأخير بمجموعة كبيرة من الأجهزة والمعدات التى تعمل بتحكم الكمبيوتر .. والتى توضح حالة

كل شىء بالمكـوك .. وموقع أدوات التحكم .. ومنـع التسرب .. ومكان كل شخص موجود ضمن طاقم القيادة .. بالإضافة إلى الركاب ..

وكـانت هنـاك شاشـة رؤيـة تليفزيونيـة داخليـة تغطـى ٣٦٠ درجة كاملة .. وتبين بوضوح تام مناظر طبيعية بانورامية .. لكل شىء خارج مكوك الفضاء ..

وأخذت (سلوى) تتذكر الماضى البعيد .. فمن هذا المكان انطلق الإنسان إلى الفضاء .. واندفع الناس لبناء محطات الفضاء .. حيث المصـانع الآليـة .. لصناعـة الرقاقـات الإلكترونيـة .. والبيولوجية .. فى ظروف انعدام الوزن .. والتى كانت تحتاج لأعمال صيانة مستمرة .. والمستعمرات الفضائية فوق الكواكب .. التى لا تتسع لأكثر من عشرة آلاف شخص !

والآن اختفى المركز التكنولوجى المزدحم الواسـع .. فقد تم سحبه تدريجيًا إلى أسفل .. بحيث لم يبق منه سوى جزء ضئيل .. لمغادرة آخر مكوك فضاء !

وسوف يظل هذا الجزء موجودًا لزمن طويل .. بعـد إقـلاع المكوك الأخير .. ليتعرض بعد ذلك للصدأ .. والتآكل .. كذكرى حزينة .. لكل ما حدث !

* * *

كيف يمكن لأهل كوكب الأرض .. نسيان الماضى ؟

استغرقت (سلوى) فى التفكير ..

لم يكن بإمكانها أن ترى سوى الأرض .. والبحر .. وكلاهما أصبح مهجورًا ..

لم تكن هناك علامات لأى إنشاءات .. أو أى بشر ..

لا شىء أكثر من النباتات الخضراء .. والرمال الصفراء .. ومياه البحر الزرقاء .. يالها من خطة !

ورأت (سلوى) بعينيها الخبيرة .. أن مكوك الفضاء (ابن الهيثم) .. مكتمل وجاهز .. وكل شىء فيه يعمل على أكمل وجه ..

وصل العد التنازلى .. إلى الصفر .

وكان القمر الصناعى المخصص للاتصالات .. قد أرسل إشارات تدل على خلو .. وسلامة الفضاء .. ولم يكن هناك أى داع للمس أجهزة القيادة .. فكل شىء آلى .. ويعمل بتحكم الكمبيوتر ..

ارتفع مكوك الفضاء .. فى صمت .. وسلاسة ..

وكل ما عمله الإنسان .. طوال فترة مائتى عام .. تم إنجازه أخيرًا ..

وبعيدًا فى الفضاء .. كانت البشرية تنتظر .. فوق القمر .. والزهرة .. والمريخ .. والكويكبات .. وفى عدد كبير من المستوطنات الفضائية ..

حلقت آخر مجموعة من أهل الأرض.. لتلحق بهم فى الفضاء ..

لقد انتهت فترة ثلاثة ملايين عام من احتلال الكائنات الحية لكوكب الأرض .. وعشرة آلاف عام من الحضارة البشرية .. وأربعة قرون من التصنيع المكثف .. المتقدم .. والتلوث .. وأثر البيوت الزجاجية .. ثم ثقب الأوزون .. واختراق الأشعة فوق

البنفسجية القادمة من الشمس .. ووصولها إلى سطح الأرض .. فعادت الأرض إلى الحياة البرية .. المقفرة .. إذ لم يستطع البشر الحفاظ عليها .. ولكنها ستظل دائما .. الكوكب الأم .. رمز أصل البشر ..

وارتفع مكوك الفضاء الأخير .. خلال طبقات الجو العليا .. بينما امتدت الأرض من أسفل .. وبدأ حجمها يتضاءل .. كلما ابتعد المكوك ..

لقد قرر البلايين من سكان الفضاء .. فى هدوء .. وبشكل نهائى .. أن قدم الإنسان .. لن تطأ سطح الأرض بعد ذلك قط ونال كوكب الأرض أخيرًا ..

حريته !

* * *

روايات مصرية للجيب

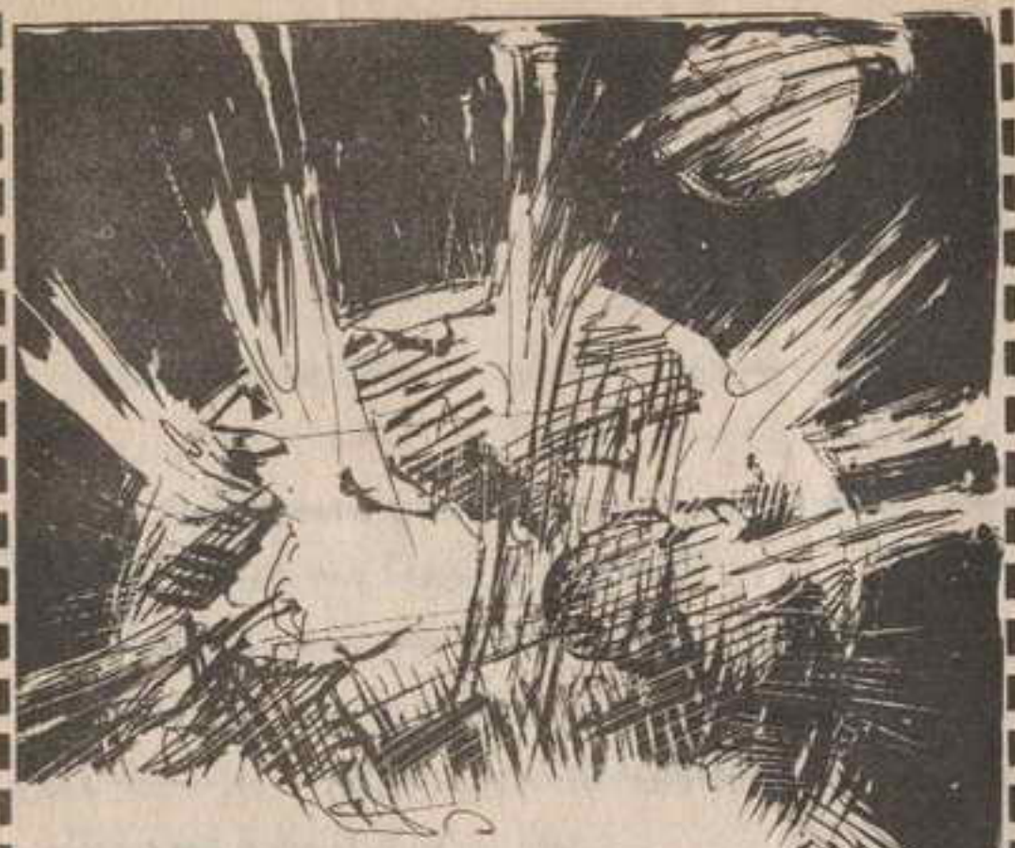

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الدفاع الأخير

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

فوق سطح أورانوس .. الكوكب السابع بعدا عن الشمس بدأت الآلات المنهكة ضجيجها فى قلب أحشاء الكوكب القاحل الخالى من الحياة ..

اهتزت الأنابيب الباهتة .. بالطاقة المرتجفة .. ثم أزّ مفتاح رئيسى ببطء وهو يتحول من الوضع السالب إلى الموجب ..

كان هناك هسيس وانصهار للمعدن .. بينما تدلت السبيكة النحاسية الكئيبة أمام المصدر الجبار للطاقة ..

تصلب المعدن مثل عضلات الإنسان التى تعرضت لصدمة هائلة من التيار الكهربائى ..

وعندئذ ذاب المفتاح .. وهو يميل فى اللهب .. ثم استقر بصوت مكتوم وسط تراب الأرضية .. القذرة ..

لكن قبل أن يُصهر .. نجح فى إدارة إحدى العجلات المعدنية الضخمة ..

وفى هذه اللحظات .. تغير الصوت العتيق الذى كان سائدًا فى القاعة الواسعة .. إذ دارت العجلة بكسل على بطانة جعرانية الشكل من الزيت .. ولأنها كانت معزولة هكذا تمامًا .. فقد واصلت بقاءها لآلاف السنين ..

دارت العجلة ثلاث مرات .. ثم تفتت حاملها وتناثر على الأرضية .. وهكذا انتهت الكتلة المشوهة التى كانت من قبل عجلة .. بأن استقرت على أحد الجدران .. بعد أن تحول نصفها إلى فتات

مسحوق .. وأصبحت عديمة النفع ..

وقبل أن تذهب العجلة إلى العدم .. أدارت عمودا دوارا .. فتح فتحة دقيقة .. فى قاع كومة من اليورانيوم ..

وعبر الممر الطويل الموجود أسفل الفتحة .. لمعت كتل أخرى من اليورانيوم .. ببريق فضى كئيب .. تراصت القطع المعدنية .. فى موت كونى ..

ثم دبت فيها الحياة .. بفعل إشعاع غامض صدر فجأة .. بتوقيت دقيق .. وتحولت إلى حيوية فائقة ..

والذى كان معدنا صلبا منذ هنيهة .. بدأ يسيل .. وتدفق الكوم العلوى .. على السفلى ..

تحركت الكتلة الملتهبة خلال مجرى طويل .. ثم صبت داخل حجرة خاصة ..

وهناك التفت حول نفسها .. وجاشت .. وغلت .. برفق .. وانتظرت فى سكون .. لتبعث الدفء فى الجدران الباردة المعزولة ..

وأدى ذلك إلى سريان فيض من الإلكترونان داخل المادة .. وإطلاق تيار كهربائى .. أخذ ينبض فى صمت .. خلال الكهوف الموجودة فى العالم الميت .. كوكب أورانوس .. الذى يتميز عن أى كوكب آخر .. فى المجموعة الشمسية .. بأن محوره يميل عن الوضع العمودى .. بزاوية كبيرة .. دون أن يعرف السبب فى ذلك !

ـ ٢ ـ

وفى جميع قاعات المنظومة المتشابكة للتحصينات التى تحت الأرض .. تحدثت أصوات غامضة ..

همست الرسائل بصوت أجش .. للكائنات الغريبة .. التى كانت تعيش فوق كوكب أورانوس .. منذ زمن بعيد .. فى الغلاف الجوى السميك .. الذى يحتوى على غاز الميثان والنشادر .. اللذين يغلفان الجزء الداخلى الصلب ..

ترددت فى القاعات .. لغة اندثرت منذ عصور موغلة فى القدم .. لدرجة أن صداها كان يردد معناها فى سخرية ..

وفى ألف قاعة تحدثت أصوات من الماضى السحيق .. أصدرت أوامر بتشغيل أجهزة الدفاع الآلى .. عن كوكب أورانوس .. قطعت الهدوء الأزلى .. وانتظرت ردًا عليها ..

لكنها لم تتلق شيئا .. وتقبلت السكون الخانق باعتباره موافقة على الأوامر التى صدرت ..

وعندئذ وفى مئات القاعات .. فُتحت مفاتيح التشغيل .. ودارت العجلات .. وتدفق اليورانيوم ٢٣٥ .. والبلوتونيوم ٢٣٩ .. الناتج من قذف اليورانيوم ٢٣٨ بنيوترونات عالية الطاقة .. وهما عنصران مشعان وقابلان للانشطار النووى .. تدفقا .. داخل قاعات أنشئت خصيصًا لذلك ..

ثم توقف كل شىء .. ريثما تتم عملية أخيرة ..

ألقت الأجهزة الإلكترونية الدقيقة المعقدة .. الكمبيوترات المتطورة .. بعضها على البعض .. أسئلة صامتة ..

وبدون أى كلمات .. تحرك أحد المؤشرات .. وتحدث كمبيوتر بيضاوى فى إلحاح :

ـ من الكوكب الأزرق .. الثالث من الشمس ..

ظل المؤشر على حاله ..

انتظر الكمبيوتر الذى سأل الزمن المقرر له .. ثم تحركت بعض أزرار لوحة المفاتيح .. وقال الصوت الآلى فى ثقة لآلاف المدافع التى تعمل بالانشطار النووى .. وتطلق قنابل ذرية .. مدمرة .. وهى تقف فى صف واحد :

ـ ... إن الجسم المقترب .. جاء بالتأكيد من هذا الكوكب ..

ظلت آلاف المدافع ثابتة .. وهادئة ..

وفى قاعات الأجهزة الإلكترونية .. حيث يتدفق اليورانيوم ٢٣٥ .. والبلوتونيوم ٢٣٩ .. ارتجفت الأضواء .. معلنة باقتضاب .. استعدادها ..

دوى الأمر من الكمبيوتر الرئيسى .. بشكل حاسم .. وقاطع :

ـ أطلقوا القنابل الذرية .. على كوكب الأرض !

عندما أصبحت سفينة الفضاء (المجرة) على بعد ألف كيلومتر من سطح كوكب أورانوس .. الذى كان يبدو سطحه اللامع صغيرا .. تنعكس عليه أضواء خضراء .. وزرقاء ..

استدار رائد الفضاء (أشرف مجدى) .. وهو شاحب متوتر .. إلى زميله (عادل زكى) قائلا بدهشة بالغة :

ـ ماهذا ؟!

رد عليه (عادل) :

ـ لا أدرى ؟ فلم أكن أنظر إلى شاشة الكمبيوتر ..

قال (أشرف) مؤكدا :

ـ اقسم إننى شاهدت السنة من النيران .. تقفز من سطح كوكب أورانوس .. كان عددها كبيرا .. لدرجة أننى لم استطع إحصاءها .. ثم أظهرت أجهزة الاستشعار من بعد .. أن شيئا ما مر بجوار سفينتنا .. فى الظلام !

هز رائد الفضاء (عادل) رأسه فى أسى قائلا :

ـ إن هذه هى الأصوات الإيقاعية لسفينة الفضاء .. لقد أثرت فيك أخيرا يا صديقى .. الا تستطيع أن تتحمل توتر المحاولة الأولى للهبوط على سطح كوكب أورانوس ؟! اهدأ قليلا .. لقد وصلنا تقريبا الى هناك !

صاح (أشرف) :

ـ لكننى أقسم أن ...

قاطعه (عادل) :

ـ هراء !

وعلى مسافة نحو ٢٨٦٠ مليون كيلومتر خلفهما .. كان كوكب الأرض فى حالة هياج واضطراب .. وفوضى .. حيث انفجرت الاف القنابل الذرية القادمة .. من الفضاء .. فى وابل متصل من الهدير المدمر .. فى كل مكان بالكرة الأرضية .. من أجهزة الدفاع الآلى .. فوق كوكب أورانوس .. انتقاما من محاولة الاقتراب من سطحه !

وفى الحال انتشر الضباب القاتم فى جميع أرجاء طبقة الستراتو سفير .. بالغلاف الجوى لكوكب الأرض .. معبرا عن تفاصيل الكارثة .. للمرة بليون نجم .. المكونة لمجرة الطريق اللبنى .. والمراقبة للأحداث !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى

الفراعنة والليزر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

على الضفة الغربية من النيل .. مقابل مدينة (الاقصر) .. ترتفع نحو السماء المفعمة بحرارة شمس القرن الثانى والعشرين .. وبشكل دائرة كاملة .. سلسلة من الصخور الحادة .. والتلال العالية .. تخفى وراءها مبنى هائلا من البلاستيك .. يضم فى سراديبه المتعددة .. أشخاصا من كل أنحاء العالم .. آثروا أن تتجمد أجسادهم .. بينما كانوا ما يزالون على قيد الحياة .. بوساطة الأيدروجين المسال فى درجة ١٩٦ مئوية تحت الصفر .. وذلك حتى يتم إيقاظهم بعد مئات السنين .. عندما يتقدم العلم .. ويجد علاجا لأمراضهم المستعصية .. كالإيدز .. والسرطان ..

وإلى جانب مبنى (النائمين) .. تتناثر مقابر الفراعنة .. ويقع أفخم معبد فى التاريخ .. معبد حتشبسوت .. الملكة الفرعونية الرائعة الجمال .. والذى غطى بقبة بلاستيكية شفافة لحمايته من التقلبات الجوية ..

وما زالت واضحة جدرانه المبنية من الحجارة الكلسية .. ذات اللون الأصفر الشاحب .. وعليها رسومات محفورة .. تمثل مشاهد مختلفة من حياة الملكة .. منذ ولادتها حتى تتويجها .. وكذلك صور للحياة اليومية فى مصر الفرعونية .. وكان اللصوص القدماء نابشو القبور .. قد نهبوا معظم هذه الآثار ..

وبعد ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام .. عاد اللصوص لا لينهبوا مقابر الفراعنة .. ولكن ليسرقوا (النائمين) !

- ١ -

أصبح اللصوص الثلاثة .. فى منتصف طريق صعودهم إلى أعلى التل حيث يندمج ضوء النجوم المنخفضة فى الضباب اللامع المنتشر .. على الوادى بأسفل .. بينما تبدو من وقت لآخر .. هياكل بلاستيكية لمقابر ومعابد فرعونية .. تخترق سماء الليل الواسعة .. وفوقهم .. أعلى التل .. كان الظلام يزداد .. ويتكاثف .. مع كل خطوة .

وبدت أشباح هائلة للسراديب السوداء مقابل بعض الضوء الضعيف .. المشتت .. القادم من نجوم السماء ..

كانت السراديب تغطى قمة التل .. ومعظمها متهدم .. أو متداع .. أو حتى تم تفجيره من قبل .. وهذه نتيجة طبيعية لقرون من الغارات .. التى يشنها لصوص القبور ..

أما السراديب التى ما زالت قائمة .. فقد أصبحت فارغة تماما من الداخل .. أو هذا على الأقل ما قاله خبراء الآثار ..

لكن زعيم اللصوص (شوقى عاصم) .. لم يكن ليصدقهم ..

كان هناك دائما المزيد من السراديب التى يمكن فتحها .. ونهبها !

* * *

كان (شوقى) يعلم أن السراديب لا تحميها لعنة الفراعنة .. أو الأشباح .. أو حتى قوانين السحر العجيبة .. وأن حراسة حجرات (النائمين) .. المجمدين .. أحد الأسرار الغامضة .. التى لا يعرفها أى إنسان حتى العلماء ..

كل ما يعرفه (شوقى) أن هناك عيونا خفية .. تحيط بكل سرداب لتحميه من أى غزو .. وضد أى سلاح !

وصل اللصوص الثلاثة إلى البوابات ..

كان هناك من قبل جدار قوى هنا .. والواضح أنه تهدم من جراء تكسير أجيال من اللصوص له .. حجرا حجرا .. وقد تناثرت هذه الحجارة فى كل مكان هنا وهناك .. وألقى البعض منها أسفل التل ..

وكان على مسافة نحو عشرين مترا .. إلى اليمين حفرة كبيرة .. حيث قام أحد اللصوص بإحداث انفجار .. لا يبقى الآن من الجدار الأبيض سوى الأبواب التى لم تدمر ، والأسوار الحديدية المزدوجة .. المنفرة .. التى علاها الصدأ .. بتأثير الزمن .. وقد زحفت الطحالب الليلية على جوانب البوابات وغطتها بستار أخضر قاتم ..

وفى السماء .. كانت النجوم كامنة فى صمت .. ترقب الموقف !

* * *

ضاقت عينا (شوقى) وهو يتفحص السراديب التى كانت تغطى قمة التل بأكمله .. سراديب من مختلف الأشكال والأحجام .. بعضها مرتفع كالمسلات .. وبعضها يتخذ شكل القبة .. بينما البعض الآخر يتميز بزوايا وتصميمات غريبة .. !

كان (شوقى) يخاف دائما من السراديب .. من حجمها فقط ! حتى لو لم تشكل أى مصدر للخطورة ..

كانت ترتفع عاليا وسط السماء ..

وبمجرد الدخول من أبوابها .. فإن أقواسها كانت ترتفع لأعلى ..

لتطوق صدى الصوت الصادر من الظلام الخالى ..

ركل (شوقى) حجرا قريبا .. فظهرت بعض الديدان اللامعة .. التى أخذت تتحرك مسرعة فى دوائر صغيرة .. ثم ما لبثت أن حفرت الارض .. واختفت فى جوفها ..

* * *

انفتح باب السرداب المفضى إلى الظلام الحالك ..

نادى (شوقى) اللص حامل المصابيح .. فتقدم وأضاء المكان ..

قال (شوقى) منبهيا :

ـ حسن .. لندخل الآن ..

دخل وتبعه اللصان فى اكتئاب وتجهم ..

فى الداخل كانت هناك حجرة ذات سقف عال ممتلئة بالتراب والأحجار والأجزاء المحطمة من بعض التحف .. التى كانت كاملة فى وقت ما ..

وكان أحد جدران الحجرة قائما ومشوها .. وسطحه شبه البلاستيكى ، تالفا من تأثير انفجارات شديدة طواها النسيان .. ودلت حفر موجودة فى السقف .. ولا تكاد تتضح فى الضوء المتراقص للمصابيح .. على أنه فى وقت ما .. كانت توجد أجهزة إضاءة .. نهبها اللصوص منذ زمن طويل ..

كانت أصوات أقدامهم منخفضة .. ومزعجة .. فى الحجرة الخالية ..

وبدا أن رائحة ضعيفة من دخان مصباح قديم .. تأتى من الظلال ..

همس (شوقى) بعصبية :

ـ لا بد أن اكتشف سر هذا السرداب الغامض !

ـ ٢ ـ

أدرك (شوقى) أنهم أكثر خوفا مما يزعمون ..

فدائما كان اللصوص يرتعدون من هذه السراديب .. برغم أنهم كثيرا ما كانوا ينهبونها ..

ولكن كثرة حالات القتل .. والتشويه .. بوساطة أجهزة الدفاع السرية .. عن هذه السراديب الغامضة ، جعلتهم يخشونها !

وقف (شوقى) ينظر حوله فى حيرة ..

نظر إلى الجدار الجنوبى .. ووجد فى وسطه لوحة معدنية عليها كتابة أو نقوش .. كان اللصوص يعتقدون أنها نوع من السحر ، ولهذا كانوا يرتعدون عند رؤيتها ..

أشار (شوقى) إلى أحد اللصين .. وقال له بلهجة آمرة :

ـ انزع هذه اللوحة المعدنية من فوق الجدار ..

تردد اللص ..

فصرخ (شوقى) :

ـ هيا بسرعة .. اجذبها ، استخدم خنجرك !

عالج اللص الحافة التى تحت اللوحة المعدنية حتى بدأت اللوحة تتقلقل ..

سأل (شوقى) بلهفة :

ـ هل هناك مكان سرى ؟

كان واضحا الخوف المكبوت فى عقله ..

تحررت اللوحة وسقطت على الأرض برنين معدنى حاد ..

اجاب اللص فى همس :

ـ أجل هناك مكان سرى !

خطا (شوقى) إلى الامام بسرعة ، وأشار إلى اللص الذى يحمل المصابيح بالاقتراب .. وحدق فى حفرة صغيرة بالجدار !

كان هناك قرص دائرى .. مدرج عليه علامات وكتابة مختصرة .. تعبر عن الارقام ..

عبارة عن زمن معين .. محدد مسبقا .. لوقت إيقاظ (النائمين) .. المجمدين !

لوى (شوقى) القرص المدرج .. وسمع صريره الخافت فى السرداب .. الذى ساده الصمت التام ..

استمر يلفه عدة مرات ..

وتغير الزمن المحدد للايقاظ .. كثيرا ..

مرت سنوات .. وسنوات ..

أحس بالخوف يجتاح اللصين .. فوقف وسط شبه الظلام حائرا .. بينما كان اللص حامل المصابيح يبتعد عنه ببطء .. وقفزت الظلال لتغطى أجزاء أكبر من السرداب ..

وعندئذ بدأت الأرضية تحت أقدامهم ترتفع ..

كان هناك جزء من الأرضية .. يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار .. وعرضه مترين .. منفصلا عن بقية أرضية الحجرة ..

أخذ هذا الجزء يرتفع عن مستوى الأرضية .. ويتخذ شكل كتلة شبه بلاستيكية .. ثم إقترن بها طنين منخفض .. لالات موجودة تحت الأرض ..

وبينما كان اللصوص يحدقون فيها بذهول .. استمرت فى الارتفاع حتى وصلت إلى مستوى أكتافهم ..

كانت عبارة عن صندوق كبير .. ذى جوانب بلاستيكية شفافة .. ويرقد بداخله جسد أحد (النائمين) المجمدين .. وحوله غطاء من رقائق الألومنيوم ..

وأمكن للصوص أن يروا فى الأضواء المتراقصة للمصابيح .. أن جسم (النائم) يبلغ نحو ضعف حجم أى واحد منهم !

أخذت آلات الصندوق تطن عائدة إلى الحياة والنشاط ..

رأى (شوقى) غطاء الصندوق يرتفع إلى أعلى .. وشمّ رائحة الهواء المعطن الذى انطلق من داخله ..

وشاهد بوضوح موشرا رفيعا كالابرة .. على جانب الصندوق يقفز إلى آخر قرص مدرج ..

وفى نفس الوقت .. اختلج جسد العملاق .. ومزق الغطاء المعدنى .. وتقوس ظهره .. وتوترت عضلاته .. وصدر عنه انين منخفض .. وضعيف .. ثم لف رأسه الى جانب ..

كان فمه مفتوحا فى بلادة .. وعيناه تخفقان .. ويداه ترتعدان ..

انسحبت من جسد العملاق .. الابر .. والانابيب الدقيقة .. ودخلت فى قواعدها بأحد أطراف الصندوق الشفاف .. ثم سكن القرص المدرج تماما ..

انفتحت عينا العملاق .. وحدقت فى اللصوص الملتصقين بالجدار دون تركيز ..

اتسعت العينان .. وأن مرة أخرى بصوت أعلى ..

كان ذلك زمجرة عميقة .. نصف مختنقة .. تردد صداها بين الجدران ..

حاول العملاق أن ينهض ..

امتدت يداه إلى جوانب الصندوق .. لكن كانت حركتها .. ضعيفة .. وغير متناسقة ..

سقط العملاق على ظهره .. وتنفس فى ألم كميات متبقية من الهواء .. مما جعل حلقه يصدر أصوات شهقات .. أجشة !

صرخ (شوقى) واندفع خارجا من السرداب .. فاصطدم باللصين اللذين اخذا يتدحرجان الى الخلف ..

وفى الخارج تسمر (شوقى) فى مكانه من الرعب .. وجسده يرتعد من الخوف .. الذى تولد فى عقله .. وشل حركته ..

كان الرعب الهائل .. يتلاطم باقصى قوة .. فى معدته وصدره ..

مرة اخرى .. انتصب العملاق جالسا ..

بدا وجهه شديد البشاعة ..

انتفض وأصدر أنينا فى السرداب المظلم .. وتحركت أصابعه فى تشنج .. ثم سقط فوق ظهره على أحد مرفقيه .. ودارت عيناه فى محجريهما .. وهو يحدق فى اللصوص ..

ثم تكلم :

ـ يا إلهى ! من أنتم ؟ .. من أنتم ؟..

كان صوته ضعيفا .. رقيقا .. خائفا ..

ـ ساعدونى من فضلكم ساعدونى !

وترنح فجأة .. وسقط خارج الصندوق الشفاف !

تلوى العملاق فوق الأرضية .. ويداه تقبضان على الهواء .. وساقاه ترتعشان .. واللعاب يتساقط من فمه ..

ثم بكى فجأة .. بضعف ويأس وقال :

ـ أوه .. يا إلهى ! أرجوكم !

تقلب العملاق حول نفسه بقوة .. ويداه مرفوعتان .. وساقاه

تصطكان بتشنج .. وخرجت من فمه شهقات قليلة .. واهنة .. ثم رقد صامتا ..

وهنا حدث الانفجار .. من مكان مجهول !

ـ ٣ ـ

فقد (شوقى) الوعى ..

وبمجرد أن فتح عينيه .. كانت الدماء تغطى ساقيه .. ويديه ..

أخذ يصرخ :

ـ إننى حىّ .. إننى حىّ ..

وفى أحد أركان الحجرة .. شاهد جثتى اللصين ..

زحف (شوقى) إلى الصندوق الشفاف .. وأدخل يديه فى تجاويفه .. وانتزع .. وأخرج .. حفنة من الأسلاك الحمراء والصفراء والزرقاء ..

هذا كل ما حصلوا عليه ..

مجرد أسلاك لا قيمة لها !

أخذ يضحك فى جنون ..

لقد حلت عليهم لعنة أقوى من لعنة الفراعنة .. هى لعنة (النائمين) المجمدين .. فى القرن الثانى والعشرين !

وعندما بصق دما .. عرف أنه يحتضر ..

زحف حتى الممر المظلم المؤدى إلى السرداب ..

مسح عرقه من على عينيه ..

ذلك إذن حال الموت !

كان قد زحف لمسافة طويلة .. مستخدما ذراعه السليمة .. منزلقا حينا .. ومجرجرا نفسه أحيانا .. هابطا الممر الرأسى .. الذى يبلغ طوله نحو عشرة أمتار ..

رقد على بطنه وهو يشعر بألم مروع فى كتفه اليمنى ، وعرف أنه ليس أمامه سوى وقت قصير ..

ولإدراكه أن الوقت يستنفد سريعا .. فقد أطبق أسنانه بإحكام .. ورفع نفسه عاليا .. مستخدما ذراعه السليمة .. وجر جسده مسافة الأمتار القليلة الأخيرة ..

وفجأة .. انتهت الأرضية .. وأحس بأنه يسقط فى الظلام ..

حدث نفسه :

— إذن سوف أبقى على هذا النحو .. وأموت !

على الجدار المواجه له .. لاحت أمامه عاليا .. سبعة أشكال مرعبة ..

مسوخ بالغة الضخامة .. والغرابة .. والبشاعة .. هيئتها على شكل نصف إنسان .. ونصف حيوان .. كل منها مجمد .. فى وضع يجعله يبدو ، كما لو كانت الروح قد قبضت فجأة ! فى أثناء حركة ما .. كان يقوم بها ..

فأحدها كان رافعا يده .. كما لو كان يؤدى التحية .. وآخر فاتحا كلتا ذراعيه .. وكأنه على وشك احتضان شخص ما .. والثالث ممسكا منجلا فوق رأسه .. ملوحا به .. مستعدا للانقضاض ..

كانت تلك الأشكال المرعبة .. مرسومة بألوان ساطعة ..

وعرف فى تلك المسوخ البشعة .. الهة الفراعنة القدماء : (سخمتن) الهة الحرب والقتال .. برأس لبوة .. وإلى جانبها قرص الشمس (ست) .. وحش مفترس بعض أجزائه تشبه الأسد .. وبعضها كالتمساح .. (ازوريس) إله الموت ..

وتساءل فى نفسه :

— ما الذى أتى بآلهة الفراعنة فى سراديب (النانمين) المجمدين ؟!

تنفس (شوقى) بعمق .. وزحف إلى مسافة قريبة من الجدار .. ثم رفع يده السليمة يحاول لمسه ..

وهنا سمع أزيزا خافتا .. وفتحت عيون آلهة الفراعنة .. وانطلقت منها دفعات من أشعة الليزر .. المدمرة ..

لقد كانت هذه هى وسائل الدفاع السرية .. عن سراديب (النانمين) المجمدين !

الموت .. بين حضارتين يفصل بينهما عشرات القرون !

وفى لحظات ما قبل الفناء .. تساءل (شوقى عاصم) :

ـ ما العلاقة بين الفراعنة .. والليزر ؟

وبقى السؤال بلا إجابة ..

حتى لفظ أنفاسه الأخيرة !

* * *

- روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

التجمع الأكبر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أخذ (سالم فوزى) و (مجدى جلال) يراقبان باهتمام بالغ .. الصندوق الكبير .. وهو ينطلق ببطء .. فوق السيور المتحركة .. مبتعدا عن سفينة الشحن الفضائية .. ومتجها الى غرفة العزل الهوائية ..

كانا يقفان فى رداءى الفضاء .. كطائرين خرافيين ..!

لقد قضيا نحو عام فى محطة الفضاء (الرازى) .. وأصابهما السأم من وحدات الترشيح التى لا تتوقف عن الضجيج .. والأنابيب المائية التى يتسرب منها الماء .. ومولدات الأكسوجين التى تطن باستمرار وتتوقف من وقت لآخر !

قال (مجدى) فى يأس :

ــ لا شىء يعمل ! .. والسبب أننا جمّعنا كل هذه الأجهزة يدويًا .. بأنفسنا ..

رد (سالم) ساخرًا :

ــ لقد نفذنا التعليمات بكل دقة ! لا شك أنه كان هناك مبررات للشكوى .. أثمن شىء فى سفينة الفضاء .. كانت الغرفة المخصصة لشحن البضائع ولذلك كان لابد من إرسال جميع المعدات عبر الفضاء .. أجزاء صغيرة .. على أن يتم تجميعها فى داخل محطة الفضاء ذاتها .. بأيد غير بارعة .. وبأدوات غير

كافية .. ووفقا لتعليمات غامضة !

وكانت هذه مهمة شاقة على رادى الفضاء (سالم) و (مجدى) !

أرسل (سالم) عدة شكاوى الى مراكز المتابعة فوق كوكب الارض .. واضاف اليها (مجدى) عدة كلمات مناسبة .. واستجاب المسئولون .. فوق كوكب الارض .. وابلغوهم أن هناك روبوتا متطورا .. له عقل صناعى كفء ذو قدرة فائقة على التجميع الالى .. الصحيح .. لأى آلة .. مفككة .. !

* * *

كان الروبوت داخل الصندوق الكبير .. الذى أصبح الآن فى غرفة العزل الهوائى ..

قال (مجدى) :

ــ أولا .. على هذا الروبوت .. أن يصلح آلة تجميع الطعام .. ويضبط مقبض شرائح اللحم .. بحيث يمكننا أن نحصل عليها نصف شواء .. بدلا من أن تحترق ..

رد (سالم) بسعادة :

ــ لقد انتهت كل مشاكلنا فى التجميع اليدوى .. بوصول هذا المنقذ الآلى !

دخلا الى محطة الفضاء .. ولمسا الصندوق الكبير برقة .. بوساطة قضبان التفتيت الجزيئى .. لكى يتأكدا أن الذرات المعدنية الثمينة .. التى تكوّن هذا الروبوت المجمع .. لم يصبها أى تلف ..

سقط الصندوق الكبير .. وانفتح ..

كان بداخله خمسمائة قطعة معدنية .. منفصلة .. وورقة تعليمات غير واضحة .. وغامضة .. لتجميع الروبوت .. الآلى .. يدويا !!

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الكمبيوتر الفائق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

(إعداد)

خرج (فؤاد زكى) من جناح الكمبيوتر الفائق .. (المعرفة) .. وعلى وجهه علامات الاجهاد والاكتئاب ..

قال (صفوت عبد المنعم) وهو يجلس على مقعد جلدى .. وثير :

ــ الم تصل إلى شىء ؟

أجابه (فؤاد) برنة يأس :

ــ لا شىء مطلقا ! لا يستطيع أى شخص أن يجد خطأ ما .. بالكمبيوتر !

تريث (صفوت) لبرهة ثم قال :

ــ باستثناء أنه لا يعمل !

قال (فؤاد) بغضب :

ــ إنك لا تجدى نفعًا بجلوسك هكذا !

رد عليه (صفوت) بسرعة :

ــ إننى أفكر .

صاح (فؤاد) بسخرية على الرغم منه :

ــ تفكر !

اعتدل (صفوت) فى جلسته على المقعد بنفاد صبر وقال :

ــ ولم لا ؟ إن هناك ست فرق من خبراء الكمبيوتر .. يجوبون الممرات الداخلية لمبنى الكمبيوتر الفائق (المعرفة) .. ولم يصل أحد منهم إلى أى نتيجة طوال ثلاثة أيام ..! ألا تعطى فرصة لشخص واحد لكى يفكر ؟!

صمت (فؤاد) لعدة ثوان .. ثم قال فى هدوء :

ــ إن الأمر لا يتعلق بالتفكير ! إن علينا أن نبحث عن رقاقة إلكترونية تالفة .. فى مكان ما .. داخل الكمبيوتر الفائق .

أطرق (صفوت) برأسه وهمس قائلاً :

ــ إن الأمر ليس بهذه السهولة !

نظر إليه (فؤاد) فى دهشة وقال :

ــ من قال إنه بسيط ؟! .. هل تعرف كم مليونا من الرقاقات الإلكترونية موجودًا فى هذا الكمبيوتر ؟

رد (صفوت) بسرعة :

ــ إن ذلك لا يهم ! ولو كان الأمر يتعلق بمجرد رقاقة إلكترونية تالفة .. فإن الكمبيوتر الفائق (المعرفة) .. به عدد هائل من الدوائر التبادلية .. ووسائل لتحديد الخلل .. وأدوات لإصلاح أو استبدال أى جزء تالف .. مهما كان دقيقًا !

تريث لبرهة ثم أضاف :

ــ ... إن المشكلة ليست فقط فى أن الكمبيوتر الفائق .. لا يجيب عن أسئلتنا .. وإنما فى أنه لا يحدد لنا الخطأ فيه !! ومن ثم سوف يسود الذعر فى جميع المدن .. مالم نفعل شيئًا ما .. إن اقتصاد العالم يعتمد على الكمبيوتر الفائق (المعرفة) .. وكل إنسان يعلم هذا .

رد (فؤاد) فى استسلام :

ــ وأنا أيضًا أعلم ذلك ! ولكن ما الذى يمكننا عمله ؟

مال (صفوت) إلى الأمام وقال :

ـ كما قلت لك .. فكر جيدًا .. لا شك أننا نسينا شيئًا ما تمامًا .. أصغ إلىّ يا (فؤاد) .. لقد كرّس كل خبير فى الكمبيوتر طوال المائة عام الماضية .. نفسه .. لزيادة تطوير وتعقيد الكمبيوتر الفائق (المعرفة) .. الذى أصبح يستطيع التحدث .. والمناقشة .. إنه من الناحية العملية شديد التعقيد .. يكاد يشبه المخ البشرى !!

صمت لعدة ثوان .. مستغرقًا فى التفكير ثم أردف قائلاً :

ـ ... ونحن لا نستطيع أن نفهم المخ البشرى .. ولذلك لماذا ينبغى أن نفهم الكمبيوتر الفائق ؟!

نظر إليه (فؤاد) فى ذهول :

ـ ما معنى هذا ؟ إنك على وشك أن تقول إن الكمبيوتر الفائق (المعرفة) أصبح .. ولم يكمل .. فقط استغرق فى تفكير عميق .. وبدا أنه يغوص فى أعماق نفسه .. ثم قال :

ـ ... هل يمكن القول إن الكمبيوتر الفائق .. قد تخطى الخط الرفيع الفاصل .. حيث كان يقف باعتباره مجرد آلة .. إلى شىء آخر !؟

وهمهم لنفسه .. لم يلبث أن لاذ بالصمت ..

رد (صفوت) وقد نفد صبره :

ـ ما الذى تحاول الوصول إليه ؟ افترض أن (المعرفة) قد أصبح غاية فى التعقيد .. فكيف يساعدنا ذلك على اكتشاف السبب فى توقفه عن العمل ؟

تمهل (فؤاد) قليلاً .. ثم تساءل قائلاً :

ـ افترض أن شخصًا ما سألك عن الطقس الذى سوف يسود

منطقة معينة .. فى القرن الحادى والعشرين !! ولم تجبه .. فما هو السبب ؟

رد (صفوت) بسرعة :

ـ لأننى لا أعرف ! ولكن الكمبيوتر الفائق يعرف ! لقد غذيناه بجميع المعلومات والعناصر .. ويوسعه أن يحلل الأحوال الجوية .. والسياسية .. والاقتصادية المستقبلية !

نظر إليه (فؤاد) بتحدٍ وقال :

ـ حسن جدًا افترض أننى وجهت إليك سؤالاً .. وأنت تعرف الإجابة عنه .. ولكنك لم تخبرنى بها .. لماذا ؟

زمجر (صفوت) قائلاً :

ـ لأن لدىّ ورمًا فى المخ .. أو لأننى مرهق جدًا .. وهذا هو بالضبط ما نبحث عنه بشأن الكمبيوتر الفائق .. جزء معطل !

صرخ (فؤاد) بقمة انفعاله :

ـ ولكننا لم نصل إليه حتى الآن ! إننى أتحدث مع الكمبيوتر الفائق .. للعلاج ... حتى لا أصاب باضطراب عقلى .. من أن هناك آلة تعرف أكثر مما نعرفه ..

إننا نحوّل وحشًا معدنيًا مخيفًا .. إلى صورة أب عطوف حارس !

رد (صفوت) بهدوء :

ـ (فؤاد) .. إن هناك خطأ ما .. وأنت تعرف ذلك .. إن (المعرفة) يجب أن يتحدث ويناقش .. لكى يكون كفئًا !

تمهل لبرهة ثم أضاف قائلاً :

ـ ... ما هو السؤال الذى لا يريد الكمبيوتر الفائق الإجابة عنه ؟

كان الدليل على قنوط ويأس (فؤاد) .. أنه وافق .. وتظاهر وهو شبه متجهم بأنه يغذى الكمبيوتر الفائق .. بالبرنامج .. ويتحدث إليه بطريقته المعتادة .. دون أن يتوقع أى إجابة !

علق على آخر معلومات عن الحرب فى يوغسلافيا .. وأحدث اكتشافات القمر الصناعى (كوب) .. عما حدث مباشرة بعد الانفجار الأعظم .. منذ ١٥ بليون سنه .. وإحصائيات عن تقلبات العملات الأجنبية فى كل أنحاء العالم ..

فى البداية كان (فؤاد) جافًا جدًا .. ثم بدأ يندمج .. فى أثناء أداء واجبه بدافع العادة .. لمدة طويلة ..

وعقب إدخال بقية البرنامج الكمبيوترى .. كان قد أنهى الاتصال تقريبًا ..

أخذ (فؤاد) يلهث .. وهو يسأل الكمبيوتر الفائق :

ــ ما هى التوقعات المستقبلية ؟ أعطنا الإجابة على الفور !

ثم وقف للحظات وهو يشعر بالإثارة .. من جراء تشغيل أضخم .. وأعظم .. وأعقد آلة .. صنعها الإنسان .. بيديه ..

قال (صفوت) فى صوت هامس :

ــ أرجو أن تبتعد عن الكمبيوتر الفائق .. وتأكد أن الخبراء أبعدوا أيديهم عنه .. ثم أدخل البرنامج .. ودعنى أتكلم معه .. مرة واحدة !

هز (فؤاد) كتفيه .. واستدار إلى جدار أجهزة التحكم فى الكمبيوتر الفائق .. الممتلئة بالعدادات والأضواء .. المتوقفة الكئيبة .. التى لا تنبض ..

أمر كل الخبراء .. بالابتعاد عن جهاز (المعرفة) .. ثم أخذ نفسا عميقا .. وبدأ مرة أخرى فى تغذية البرنامج ..

وفى مكان ما .. كان أحد مذيعى الأخبار .. ينشر على العالم .. محاولة إعادة تشغيل الكمبيوتر الفائق ..

كان الناس يمسكون أنفاسهم .. انتظارا لما سوف يحدث .. فهم يعتمدون على الكمبيوتر الفائق .. فى حياتهم ..

* * *

انتهى (فؤاد) وأشار إلى (صفوت) لكى يتقدم .. ويتحدث إلى (المعرفة) ..

ظهر فى صوت (صفوت) رنة توتر .. وعصبية .. وهو يقول :

ــ حسن الآن .. أيها الكمبيوتر الفائق .. المعرفة .. ما هى التوقعات المستقبلية .. أعطنا الإجابة !

ثم تمهل قليلا .. وأضاف هامسًا :

ــ ... من فضلك !!

فجأة .. وفى جميع أجزاء الكمبيوتر الفائق .. شرعت الرقاقات الإلكترونية .. البيولوجية .. فى العمل بسرعة هائلة .. تدرس .. وتحلل .. وتخزن .. وتستخرج النتائج الفورية .. وتقدم الإجابات بكفاءة عالية ..

لقد عاد الكمبيوتر الفائق .. (المعرفة) .. للعمل ..

فقبل كل شىء .. إن للآلة شعورا .. وأحاسيس من نوع خاص .. عندما تتخلل البيانات إلى ذاكرتها الإلكترونية المعقدة .. وتتألق المعلومات فى رقاقاتها البيولوجية ..

عندئذ تصبح شيئا آخر ..
أكثر منطقية ..
إنسانا .. آليا !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

كوكب الحروب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سلقه ... القاهرة ... ت ٩٥٥٥٥٠

هبطوا على جانب التل المغطى بالضباب القاتم .. فوق هذا الكوكب المجهول .. خارج المجموعة الشمسية .. خمسة رواد فضاء .. متوترين .. مرتبكين .. مذعورين .. متحفزين لإطلاق الإشعاعات المدمرة ..

كانوا فى طريقهم للاستجابة لإشارة استغاثة .. خطر يهدد سفينة فضاء لكائنات أخرى !

— ١ —

منذ ساعات فقط .. كانوا يسافرون بين النجوم ..

والآن أصبحوا فوق هذا الكوكب المظلم ..

كان الوقت ليلا .. وفجأة .. سمعوا أصوات إطلاق نار .. وانفجارات ليزر ..

وبدا أن هذا الكوكب الذى يقفون عليه .. فى حالة حرب ..

وعندما نظروا إلى النجوم .. والمجرات الحلزونية .. والبيضاوية .. وغير المنتظمة .. أدركوا أن ليس لديهم فكرة .. عن المكان الموجودين فيه ..

لقد هبطوا فوق كوكب غريب !

هز القائد (أسعد لطفى) رأسه .. واستدار ليواجه رفاقه .. ثم سأل فى حيرة :

— ما هذا ؟

وكان يعلم .. أن لا أحد يستطيع أن يعطى إجابة صحيحة ..

عن هذا السؤال .. وبدا واضحا .. أن نداء الخطر .. كان خدعة !

والآن .. هم فوق هذا الكوكب .. وهناك معركة تدور بالقرب منهم ..

قال رائد الفضاء (يوسف مراد) :

— ليس أكثر من الظلام الذى نحن فيه !

نظر القائد إلى (يوسف) .. ووجده يبتسم .. فابتسم له بدوره .. وشعر بتناقص التوتر الذى لفهم جميعا ..

كان القائد (أسعد) ممتنا لأن معه مثل هذا الطاقم حسن التدريب .. وهم على استعداد دائما .. لمواجهة وخوض غمار أى موقف يجابههم ..

قال لهم بإصرار :

— لن نعود إلى سفينة الفضاء .. بل دعونا نكتشف ما الذى يحدث فوق هذا الكوكب !

* * *

وعندما هبطوا من فوق جانب التل .. ساروا داخل غابة عبارة عن شبكات متداخلة .. ومحيرة .. من الممرات الوعرة المنتشرة فى كل اتجاه ..

قسم القائد (أسعد) جماعته .. الى تشكيل منتشر .. بحيث يغطون مساحة أكبر من الأرض .. برغم أنه كان واثقا من أن أى واحد منهم .. لا يبعد عن زميله .. بأكثر من عشرين مترا ..

وبينما هم يتقدمون خلسة .. حرك القائد (أسعد) رأسه من اليسار الى اليمين .. مشيرا إلى روّاد الفضاء (يوسف) و (خالد) فى

ناحية .. و (نادية) و (شوقى) فى الناحية الأخرى ..

جاءت أول إشارة من راندة الفضاء (نادية) :

ـ لقد وجدت شيئا ما !

أوقف القائد (أسعد) المجموعة .. ثم تحركوا ببطء .. مرة ثانية ..

وعندما وصلوا إليها .. وجدوا (نادية) راكعة أمام أربع جثث بكل منها جروح رهيبة .. ودم متجلط عليها !

قالت (نادية) بعد فترة :

ـ لقد قدرت من منظرهم هذا .. أنهم ماتوا منذ حوالى أربعة أيام !

أومأ القائد (أسعد) وهو يخزن هذه المعلومات فى ذهنه ..

وفى هذه اللحظات كان مندهشا .. من نوع الأجساد التى ترقد أمامهم .. أمكنه أن يميز فيها كائنات .. من كوكبى فيجا .. وإيتا .. والقمرين جانيميد .. وتيتان .. مخلوقات من أركان المجرة الأربعة !

إنه لم يشاهد من قبل مثل هذا التجمع ..

وبدأ يتساءل عما إذا كان هؤلاء البؤساء الأربعة .. قد وقعوا فى نفس المصيدة .. التى وقع فيها هو وطاقمه .. !

وتمنى من كل قلبه .. ألا يكون هذا هو الأمر .. لأنه إذا صح ذلك .. فهذا معناه .. أنهم سوف يتعاملون مع عدو رهيب حقا !

صرخ (شوقى) فجأة :

ـ انتبه أيها القائد !

وبرغم أن القائد (أسعد) لم يعرف ما هو الخطر المحدق به ..

إلا أنه بغريزته ارتمى على أرض الكوكب .. بحثا عن ساتر وجذب معه (نادية) و (يوسف) و (خالد) ..

وبينما هو يطير فى الهواء .. لمح كرة معدنية صغيرة .. تدحرجت فجأة فى المنطقة التى كانوا يقفون فيها .. منذ ثانية واحدة !

وقبل أن يعرفوا من الذى ألقى عليهم القنبلة الحارقة .. انفجرت .. وأرسلت موجات صدمية عنيفة تجاه الأشجار القريبة .. بسرعة هائلة ..

ارتمى القائد (أسعد) بقوة .. أجبرت الهواء على الخروج من رئتيه .. ولف جسده لحظيا تيار شديد :

وبعدئذ تحامل على نفسه .. ووقف على قدميه مرة أخرى .. وفى يده مسدس الليزر المشحون .. وانطلق بمفرده باحثا عن الشخص أو الكائن .. الذى ألقى عليهم القنبلة الحارقة !

ـ ٢ ـ

تحرك الشبح بسرعة .. مخترقا الأشجار أمام القائد (أسعد) .. بمسافة مائة متر .. وكان يقفز ويتلوى مخترقا الأحراش الصغيرة الداكنة اللون ..

ومن هذه المسافة .. أمكن للقائد (أسعد) أن يميز أهم صفات فريسته .. ولكنه لم يرتح لما رآه !

كان المخلوق غريبا تماما .. ويصعب تعرفه ..

واعتقد القائد (أسعد) .. أنه أكثر شىء مرعب .. رآه فى حياته .. أراد فى البداية أن يقتله .. ولكنه كان يعرف أنه لكى يكتشفوا

ما الذى يحدث فوق الكوكب .. عليه ان يصيبه .. ويقعده عن الحركة فقط .. ثم يستجوبه .. ولهذا انتظر .. واختار لحظة الهجوم بعناية !

* * *

وسرعان ما حانت هذه اللحظة .. عندما خرج المخلوق الغريب من مخبئه .. ليقطع مساحة كبيرة مكشوفة .. معرضا نفسه للنيران ..

سقط القائد (اسعد) على ركبتيه .. وصوب مسدسه الليزرى .. بثبات .. موجها الأشعة .. إلى ساق المخلوق الغريب .. ثم جذب الزناد .. فتهالك الكائن .. وهو يمسك جروحه ..

بدأ القائد (أسعد) يهرول ناحيته .. وكان قد قطع نصف المسافة .. عندما بدا أن المخلوق الغريب .. تمكن من الالتواء حول نفسه ..

وفى اللحظات التى قطع فيها بقية المسافة .. كان المخلوق قد اختفى تماما من الوجود .. فى لمح البصر !

شهق القائد (أسعد) .. فلم يكن ممكنا لمسدسه الليزرى .. أن يسبب هذا !

وعندما عاد أدراجه إلى البقعة .. التى ترك فيها الآخرين .. كان ذهنه مشوشا من الصدمة .. والحيرة .. واحتاج لعدة دقائق .. لكى يستوعب ما رآه !

كان (خالد) قتيلا .. القنبلة الحارقة قضت عليه فى الحال .. أما (نادية) فقد اختفت .. بينما رقد (يوسف) و (شوقى) فاقدى الوعى .. فى الأحراش !

لقد وجهت الكائنات هجومًا ثانيًا .. بينما كان يطارد أحدها !

زمجر القائد (أسعد) فى غضب .. وضرب بقبضته إحدى الأشجار .. وهو يقسم بأن ينتقم ممن عساه .. أن يكون مسئولاً عما حدث ..

وبعد أن أفرغ شعوره .. واستراح .. ركز تفكيره فى المهمة التى بين يديه ..

وأسرع ليطمئن على (يوسف) و(شوقى) .. وكان يعرف الآن أن المهمة المنوطة به .. هى شىء واحد .. النجاح فى البقاء على قيد الحياة !

لم يستطع (يوسف) و (شوقى) أن يخبراه بالكثير .. عن الهجوم الثانى !

كل ما قالاه إن جماعة من الكائنات العجيبة غير المعروفة .. ظهرت فجأة من الأحراش المجاورة .. وأسقطوهم على الأرض .. بوساطة أسلحة مفقدة للصواب .. أو التوازن ..

ومن وصفهما للمخلوقات الغريبة ..لم يعد لدى القائد (أسعد) .. أى شك فى أنهم من نفس جنس الكائن .. الذى كان يطارده ..

لم يستطع الرجلان الإدلاء بأى معلومات .. عن اختفاء رائدة الفضاء (نادية) ..

وكان الاستنتاج الوحيد المعقول .. أن الكائنات الغريبة أسرتها .. ونقلتها إلى مكان ما !

ولأن القائد (أسعد) رفض تصديق أنها قتلت .. فقد عزم على العثور عليها ..

وبعد أن سلح نفسه هو والآخرين .. تسليحًا مكثفًا .. بالأسلحة المتروكة فى المنطقة المكشوفة .. بدءوا تحركهم فى الغابة .. نحو ساحة المعركة !

_ ٣ _

كانت غابة الأشجار عبارة عن منظر طبيعى مروّع من الصوت والصورة ..

كان صوت نيران الليزر البعيدة .. والقريبة لا يتوقف قط ..

وبين كل لحظة وأخرى .. أخذت تضىء بالوهج الأحمر الكئيب .. الذى يصاحب صوت الانفجارات .. وكلما قطعوا مساحة أكبر من أرض الكوكب .. اقتربوا على ما يبدو من منطقة المعركة ..

وسرعان ما اكتظت الغابة بظلال غريبة .. لأجسام سريعة الحركة ..

حاذر القائد (أسعد) كثيرًا .. لكى يبتعدوا عن المراقبة ..

وكانت المنطقة التى يتحركون فيها الآن .. ممتلئة بالأشجار المتفحمة .. والمسودة ..

وصادفوا عدة مرات بقعًا ما زالت تحترق بشكل ينذر بالشر ! وتنز فى هواء الليل البارد ..

ولم يشعر القائد (أسعد) قط من قبل .. بمثل هذه الوحدة .. والتعرض للخطر .. حتى أن أنفاسه المتلاحقة .. بدت كما لو كانت تزيد من إحساسه .. بالرعب .. والخوف ..

وفجأة .. صدر صوت من غصن إحدى الأشجار .. وهى علامة على أن شيئًا ما كان يتحرك قريبًا جدًا منهم ..

وبسرعة ارتموا على الأرض .. للاختباء ..

وفى خلال بضع ثوان .. امتلأت المنطقة المحيطة بالضجيج .. إذ برز .. أربعة مخلوقات قريبة .. من الأحراش .. تعرفهم القائد (أسعد) بأنهم من كوكب فيجا .. وكان وراءهم قوة من المخلوقات الأخرى .. المجهولة الأصل .. تطلق أسلحتها الإشعاعية ..

أصيب مخلوق فيجى .. وصرخ من الألم .. ثم سقط على الأرض ..

وثارت ثائرة الثلاثة الآخرين .. لموت رفيقهم .. وتحولوا إلى القتال .. وأطلقوا وابلاً من النيران ..

أصيب أحد مهاجميهم فى كتفه .. فعاد أدراجه .. وهو يتلوى .. وفقد السيطرة على نفسه .. ثم دخل فى الأحراش .. واختفى عن الأنظار ..

وأصيب آخر فى رقبته .. وببساطة التف حول نفسه .. وتبخر فى الهواء !

ويبدو أن الفيجيين استفادوا من هذا الموقف .. فاستداروا ليركضوا مرة أخرى ..

وعندما رأى القائد (أسعد) أحد المهاجمين .. يجذب قنبلة حارقة من حزامه المعدنى .. عرف أن عليه تحذير الفيجيين .. فقفز من بين الشجيرات وهو يصيح ..

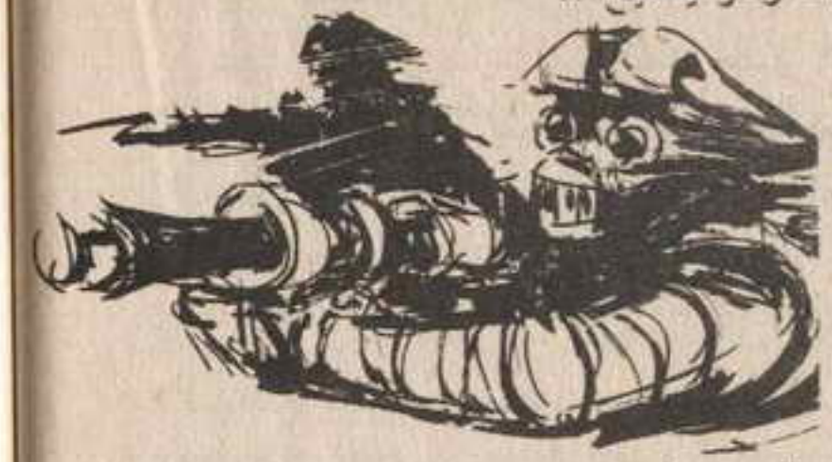

وانتبه أحد المهاجمين له .. وبدأ يطلق الإشعاع فى اتجاهه .. وهكذا أصبح القائد (أسعد).. فى قلب أتون المعركة !

امتلأت الثوانى القليلة التالية .. بالحركة والنشاط .. واستمر القائد (أسعد) فى إطلاق مسدسه الليزرى .. واستدار الفيجيون ليقاتلوا مرة أخرى .. ويطلقوا الإشعاعات أيضًا ..

وانفجرت القنبلة الحارقة ..

ولكن بعيدًا جدًا عن الهدف .. بحيث لم تسبب أضرارًا جسيمة !

وثب (يوسف) و (شوقى) إلى الخارج .. لمساعدة قائدهم ..

وتقدم المهاجمون حثيثًا فى أرض المعركة .. وسقط فيجى آخر .. واختفى أحد المهاجمين .. بعد إصابته ! وأصيب (يوسف) فى ساقه اليسرى .. ثم سرعان ما انتهى كل شىء ..

وقام القائد (أسعد) بحصر الأضرار والخسائر .. ورأسه يكاد ينفجر .. بينما كان يلهث ..

كان المهاجمون قد اختفوا جميعا ..

لقد تحقق النصر فى المعركة ..!

ـ ٤ ـ

قال الفيجى فى همس ضعيف :

ـ أيها الغريب .. أود أن أشكرك ..

كان الوحيد الباقى على قيد الحياة .. وهو ممدد يتلوى من الألم .. بجوار شجيرة صغيرة ..

وبسرعة تحرك القائد (أسعد) و (شوقى) و (يوسف) إليه .. شهق الكائن .. ثم استطرد قائلا :

ـ ... لقد حاربتم كما ينبغى .. وأتمنى أن يحق لكم مغادرة كوكب الحروب !

تساءل (شوقى) فى دهشة :

ـ كوكب الحروب !

تصلب جسد الفيجى من الألم وقال :

ـ أرض معركة .. إن الكائنات التى تسكن هذا الكوكب .. لديها رغبة دائمة فى القتال .. ولهذا فهى تخدع أى سفينة فضاء مارة بالقرب منهم .. بإشارة استغاثة !

تريث الكائن ليلتقط أنفاسه .. ثم أردف قائلا :

ـ ... لا مفر من مواصلة القتال .. تعلموا أسرار هذا المكان .. يجب أن تحصلوا على حق مغادرة كوكب الحروب .. عالم ..

ولم يتمكن الفيجى من تكملة جملته قط .. إذ أجبره ألمه الشديد .. على أن يشهق آخر شهقة ..

وبحذر أغلق (يوسف) جفنى الكائن .. على زوج من العيون .. الجاحظة .. المظلمة ..

لم يفهم القائد (أسعد) المعنى الحقيقى .. لما قاله الفيجى .. ولكن فى غضون عدة أيام .. وهو يقوم مع طاقمه .. بالأمر الوحيد الذى بمقدوره ..

النجاح فى مواصلة البقاء ..

وبدأ يعلم الكثير .. من أسرار كوكب الحروب .. ولعل أغربها .. والذى أصابه بصدمة .. أن الكائنات سكان هذا الكوكب الغريب .. والذين حاربهم فى ميدان القتال .. لم يموتوا ! فالاثناء العجيب .. والاختفاء المفاجئ .. اللذان شاهدهما مرات عديدة .. كان معناهما .. أن الأجساد يتم نقلها من بعد .. عن طريق تفتيت الذرات .. ثم إعادة ترتيبها .. فى مكان آخر .. ثم إرجاعها إلى قاعدتها .. حيث يتم علاجها .. ثم تعود مرة أخرى إلى القتال .. فى ساحة معركة أخرى !

* * *

وأخيرا تمكن القائد (أسعد) و (يوسف) و (شوقى) .. ومعهم جماعات من الكائنات الأخرى .. الصديقة .. من تشكيل فريق مقاتل .. وتمكنوا من خلق قوة هجوم فعالة .. واستمروا فى قتال .. سكان كوكب الحروب ..!

وذات يوم .. جاءت إلى القائد (أسعد) .. أخبار سارة .. بأن رائدة الفضاء (نادية) على قيد الحياة .. ولكنها وقعت فى الأسر .. وكان المطلوب هو إنقاذها !

ـ ٥ ـ

بدون تردد .. بدأ القائد (أسعد) يجرى استعداداته ..

وكان أول قرار اتخذه .. هو أنه و (شوقى) و (يوسف) فقط .. الصديقة .. على اعتبار أنها مهمة يناط بها رجال كوكب الارض وحدهم .. إذ كانوا جميعا ينتظرون هذه الفرصة للانتقام .. من هذه المخلوقات الدموية .. التى تهوى القتال .. والتدمير !

* * *

وعند الفجر كان القائد (أسعد) و (شوقى) و (يوسف) .. ممددين على شاطئ نهر صغير .. يطل على الوادى .. الذى يوجد فى منتصفه .. معسكر مخلوقات هذا الكوكب ..

وعلى مسافة ما فوقهم .. زعق طائر غريب .. ولكن بخلاف ذلك .. ساد صمت ثقيل .. قاتل .. إذ كان الرجال الثلاثة . يعرفون جيدًا أنهم معرضون للهلاك فى أى لحظة ..

سأل القائد (أسعد) وهو يشحن مسدس الليزر :

ـ هل أنتما جاهزان ؟

أخذ (شوقى) و (يوسف) أنفاسا عميقة .. ثم أوما برأسيهما علامة الإيجاب ..

هبطوا من فوق التل فى قفزات .. ووثبات سريعة .. واندفعوا وراء الشجيرات .. كلما مرت بجوارهم دورية حراسة لمخلوقات الكوكب .. واضطر (يوسف) فى إحدى المرات .. إلى أن يقفز على أحد هذه المخلوقات .. ويطرحه أرضا ..

ولكن الصراع انتهى .. عندما اختفى المخلوق فجأة .. من تحته !

وسرعان ما وصل الرجال الثلاثة .. إلى مشارف معسكر مخلوقات الكوكب .. فتريثوا .. والتقطوا أنفاسا عميقة ..

لقد وصلوا إلى نقطة اللاعودة .. والطريق ذى الاتجاه الواحد ..

وبمجرد أن استعدوا ذهنيًا للمعركة الفاصلة .. قذفوا بأنفسهم فى أتونها !

— ٦ —

وجدت مخلوقات الكوكب .. مكانها فى الحال !

وامتلأ الهواء بإشعاعات الليزر المدمرة ..

واستفاد القائد (أسعد) ورفيقاه من الشجيرات التى يمتلئ بها المعسكر الضخم .. فالتفوا وداروا حولها .. وهم يطلقون النيران .. مع كل حركة يتحركونها ..

وفى خلال عدة ثوان .. بدأت مخلوقات الكوكب .. تنظر فى كل اتجاه .. فى ذعر .. فلم يجرؤ أى كائن من قبل .. على مهاجمة معسكرهم !

وبينما كان (شوقى) يتقدم نحو مبنى السجن .. حيث يحتفظون بالأسرى .. وفق البيانات التى حصل عليها القائد (أسعد) من قبل .. حاصرته مجموعة من مخلوقات الكوكب ..

لكن الإشعاعات المدمرة .. المستمرة .. من القائد (أسعد) و (يوسف) شتتتهم بعيدًا..

ثم قفز (شوقى) فوق صخرة صغيرة .. وفك قنبلة حارقة من حزامه .. وقذف بها فى لهيب المعركة ..

وعندئذ طارت مخلوقات الكوكب فى الهواء .. وهم لا يصدقون

ما يحدث .. ولم تتح لهم حتى فرصة الهبوط !

ولأول مرة .. بدأ القائد (أسعد) يعتقد .. أن قدرة مخلوقات الكوكب .. على الانتقال الجسدى من بعد .. يمكن أن تعمل لصالحه ..

إذ بينما زاد عدد المصابين بينهم .. كان المعسكر الكبير .. يخلى نفسه منهم .. بسرعة !

وبعد قليل كان رواد الفضاء الثلاثة .. يقفون فى قلب ميدان المعركة .. الممتلئ بالدخان ..

يهنئ كل منهم الآخر .. وهم على ثقة .. بأن النصر سوف يكون حليفهم ..

* * *

وبينما كانت رائدة الفضاء (نادية) تخرج بحذر .. من مبنى السجن عبر المعسكر .. بصحبة (يوسف) .. ابتسم القائد (أسعد) أول ابتسامة واسعة .. منذ وصولهم إلى كوكب الحروب ..

وفجأة .. جمد كل شىء .. واعتقد القائد (أسعد) أن هناك خطأ ما .. فى بصره .. أو سمعه ..

هز رأسه .. ولكن كل ما حوله كان متصليا .. فبجواره .. وقف (يوسف) و (شوقى) .. وهما لم يكملا خطواتهما .. جامدين .. كتمثالين ..

وفى الناحية المقابلة .. حدث نفس الشىء لـ (نادية) .. حتى من بقى حيًا من مخلوقات الكوكب .. تصلب فى مكان وقوفه !

قال صوت رهيب :

ـ لقد قاتلتم جيدا يا أهل الأرض .. لذا منحناكم حق مغادرة كوكب الحروب !

التفت القائد (أسعد) ليواجه صاحب الصوت ..

رأى اثنين من مخلوقات الكوكب .. ولكنهما أضخم من الباقين .. وأدرك أنهما المسئولان عن هذا الكابوس المروّع !

رفع القائد (أسعد) مسدسه الليزرى .. ليقتلهما .. ولكنهما اختفيا فجأة !

ـ ٧ ـ

عادوا جميعًا إلى سفينة الفضاء (النجم الفضى) .. بملابسهم الرثة .. ووجوههم المجهدة .. بعد أيام رهيبة .. قضوها فوق كوكب الحروب ..

صاح (يوسف) :

ـ لقد حصلنا أخيرًا على حق مغادرة كوكب الحروب ..

أومأ القائد (أسعد) برأسه .. وهو غير قادر على الحديث .. وحدث نفسه قائلا :

ـ لقد حصلنا فعلا على هذا الحق .. ولكننى لست راضيًا عن ذلك ! .. فماذا عن الأجناس الأخرى التى لم تتمكن من الرحيل ؟ وماذا عن هؤلاء الذين ماتوا فوق كوكب الحروب ؟

وقرر القائد (أسعد) أن يعود إلى هذا الكوكب الغامض .. مرة أخرى .. ليقاتل تلك المخلوقات الدموية .. وينتصر عليها !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

لصوص الأجساد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أصدر (خالد فوزى) أمره قائلا :

ــ شغّل حاجز الدفاع فورا !

وضع (ماجد شكرى) راحة يده على لوح صغير .. إلكترونى .. يلى المدخل المكتوب عليه .. بحروف كبيرة : | حجرة الأمن | .

وبمجرد أن فعل هذا .. أصدر اللوح طنينا .. وسرعان ما امتلأ المدخل الذى كان خاليا حتى ذلك الوقت .. بجدار من الضوء الأزرق الوماض !

ثم أخرج (ماجد) قرصا صغيرا من جيبه .. وقذفه ناحية المدخل ..

وبمجرد أن لمس جدار الضوء الأزرق .. انفجر فى الحال !

أومأ (ماجد) برأسه ناحية (خالد) معلنا موافقته .. وقال :

ــ إنه يعمل .. وأى شخص يحاول أن يخطو خلال هذا المدخل .. سوف يصعق فى الحال ! ولن يصل أبدا إلى الجانب الآخر .

رد (خالد) مبتسما :

ــ والآن .. فإن كل ما علينا هو توصيل شحنتنا الثمينة إلى كوكب زحل !

ثم حملق خلال جدار الضوء فى الحجرة الموجودة فى الناحية الأخرى ..

فى منتصفها كان يرقد صندوق صغير أسود اللون .. يصدر طنينا خافتا ..

وحتى الآن بعد أن راه (خالد) يعمل .. فقد وجد صعوبة فى الاقتناع بأن هذا الصندوق الصغير .. ربما كان أعظم سلاح اخترعه الإنسان !

ــ ١ ــ

كان (خالد) هو المسئول عن سلامة هذا السلاح الرهيب .. حتى يصلوا به إلى منطقة الأمان .. فوق كوكب زحل ..

عندما فكر فى هذا .. أحس برعدة تسرى فى جسده ..

أبعد نظراته عن الصندوق الصغير ..

قال لـ (ماجد) بتؤدة :

ــ يوجد الكثير من الكائنات الغريبة فى الكون .. التى تحب أن تصل أطرافها أو زواندها .. إلى هذا السلاح الرهيب !

رد (ماجد) مبتسما :

ــ لا تخش شيئا من ذلك .. فعلى متن هذه السفينة ..لا يوجد سوى ثلاثة أشخاص .. يمكن لبصمات راحات أيديهم أن توقف تشغيل حاجز الدفاع : أنت وأنا ورائدة الفضاء (سلوى رفعت) .. وقد تأكد جهاز الأمن فوق القمر (ترايتون) من هذا الأمر .. وهكذا سوف يكون الصندوق الأسود فى أمان تام .

ثم ألقى نظرة أخيرة على حجرة الأمن .. وأردف قائلا :

ــ هل نذهب الآن إلى غرفة القيادة ؟

أومأ (خالد) برأسه موافقا .. وسار الاثنان تجاه المصعد الداخلى ..

وما كادا يدوران مبتعدين عن أحد الأركان .. حتى بدأ جرس

إنذار سفينة الفضاء يدوى بشكل متواصل ..

ولكونهما متخصصين مدربين .. فقد أخرجا مسدسى الليزر .. الخاصين بهما .. واستدارا للخلف تجاه حجرة الأمن .. قبل أن يتبدد أول صدى لجرس الإنذار !

وعندما رجعا إلى الركن .. أشار (خالد) لـ (ماجد) بالوقوف .. ثم همس له قائلا :

ــ دعنا نر مدى سلامة جهاز الأمن هنا !

وفهم (خالد) ما الذى يقصده ..

وحدق الاثنان بحذر إلى داخل الممر المفضى إلى حجرة الأمن ..

وهناك كانت مفاجأة مذهلة !

ــ ٢ ــ

كان كائنان غريبان من جنس لم يتعرفه (خالد) ولا (ماجد) من قبل يندفعان بحرص ناحية مدخل حاجز الدفاع ..

وظهر أن أحد ضباط سفينة الفضاء ملقى على الأرضية .. وراءهما ..

لم يتردد الكائن الأول فى محاولة اختراق حاجز الدفاع .. وبعد ثانية واحدة كان قد مات .. وتبخر !

وقف الكائن الثانى متأثرا بالصدمة .. ثم نظر إلى المدخل بحذر شديد .. وعندما أدرك أن جهاز الأمن الصاعق .. هو الذى قتل زميله وضع ما يشبه راحة اليد على القرص الطنان .. لكن سرعان ما جذب المخلوق الغريب يده .. وتقهقر بسرعة إلى الوراء .. بعد أن سرت فى جسده صدمة كهربائية متوسطة ..

وهذا يعنى أن القرص رفض يده ..

ثم بدأ الكائن الغريب فى الركض بعيدا .. للنجاة بعمره !

صرخ (خالد) :

ــ قف وإلا أطلقت أشعة الليزر ! بينما كان يندفع إلى مسرح الأحداث ..

دار الكائن الغريب برأسه الضخم وعينيه الكبيرتين الجاحظتين .. وبدأ يجذب سلاحه الشخصى من حزامه العريض ..

أطلق (خالد) دفقة من أشعة الليزر .. أصابت الكائن فى أعلى صدره .. خرّ على إثرها فوق الأرضية المعدنية .. مصطدما بها على مسافة نحو مترين .. ثم رقد فى سكون !

قال (ماجد) بإعجاب :

ــ إصابة دقيقة .

بينما توجه كلاهما إلى الكائن الغريب .. الممدد بلا حراك .. علّق (خالد) قائلا :

ــ إنهم لا يضيعون وقتا فى محاولاتهم الوصول إلى السلاح الرهيب ..

رد (ماجد) هامسًا :

ــ إننى أعجب مما إذا كان هناك الكثير من هذه الكائنات الغريبة .. داخل السفينة !

ابتسم (خالد) وقال :

ــ أشك فى ذلك .. لعل هذين الاثنين تسللا .. واختفيا فى أثناء تموين سفينة الفضاء فى القمر (ترايتون) !

صمت لعدة ثوان ثم أردف قائلا :

ــ على الأقل فإن جهاز الأمن يعمل جيدًا .. هل أنت مطمئن الآن يا (ماجد) ؟

ابتسم (ماجد) وأومأ برأسه .. ثم ظهر حارسان من منصة أخرى بالسفينة .. أمرهما (خالد) قائلا :

ــ تخلصا من جثة الكائن بإلقائها فى الفضاء الخارجى .. وخذا الآخر إلى سجن السفينة .. وسوف أكون مع رائد الفضاء (ماجد) فى غرفة القيادة ..

ألقى إليه الحارسان بالتحية ، ثم واصل الرجلان سيرهما إلى المصعد الداخلى ..

* * *

جلس (خالد) يواجه البوابة الأمامية المقابلة لغرفة القيادة وهو يحدق بعيدًا فى النجوم عبر النوافذ الشفافة ..

كان يفكر فيما حدث بحجرة الأمن . فبالرغم من أن حاجز الدفاع عمل بشكل مثالى .. إلا أن (خالد) لم يستطع مقاومة الإحساس .. بأن خطأ ما قد حدث ..

ولو كان عليه أن يصف شكوكه لقال إنه كان من السهل جدًا .. أن يتصرف المخلوقان الغريبان كالأغبياء ..

ولكى يتأكد من أفكاره .. نظر إلى داخل الزنزانة التى وضع فيها الكائن الغريب الجريح .. لقد ظن لثانية واحدة .. أن كل هذا تمثيلية .. وأن الكائن الغريب سوف يتحرر من سجنه .. بطريقة أو أخرى .. ثم يحطم جهاز الأمن !

لكن عند ما رآه ممددًا فوق فراشه الضخم .. غائبًا عن الوعى .. تبددت كل مخاوفه ..

ابتسم (خالد) لنفسه .. فقد كانت البعثة بأكملها تقلقه كثيرًا !

ترى لماذا لا يقبل بسهولة .. أن السلاح السرى فى أمان ؟!

وفجأة .. دوت أصوات من شاشات الكمبيوتر :

ــ رائد الفضاء (خالد فوزى) إلى المنصة رقم ٧ ... رائد الفضاء (خالد فوزى) إلى المنصة رقم ٧ ..

أنهت هذه الأصوات المدوية .. تأملات (خالد) .. الذى ضغط على زر مثبت فى اللوحة التى أمامه .. وقال ردًا على الاستدعاء :

ــ هذا (خالد فوزى) يتكلم .. ما الخبر ؟

رد صوت من الواضح أنه لأحد الحراس :

ــ سيدى .. يحسن أن تهبط إلى حجرة الأمن فورًا !

شعر (خالد) بمخاوفه تتجدد مرة أخرى .. فقد كان يعلم أن هناك خطأ ما ..

قال بسرعة وهو ينهض من مقعده الجلدى :

ــ أنا قادم فورًا !

وأكمل حديثه إلى (ماجد) قائلاً :

ـ ... (ماجد) تولّ القيادة !

ثم توجه (خالد) ناحية المصعد الداخلى .

وبمجرد أن سمع حفيف الأبواب وهى تغلق أمامه .. رأى تعبيرات ما يفكر فيه .. تنعكس على وجوه روّاد الفضاء .. والحراس ..

كلهم كانوا يعرفون الآن .. أن الرحلة إلى كوكب زحل .. لن تكون مريحة .. أو سهلة .. كما كانوا يتوقعون !

ـ ٣ ـ

بمجرد أن خرج (خالد) من باب المصعد .. ركض فى اتجاه حجرة الأمن .. حتى أوقفه الحارس .. وابتدره بقوله :

ـ رائدة الفضاء (سلوى مجدى) .. تطلب الدخول إلى حجرة الأمن .. دون أن توضح أى سبب لذلك ..

تردد (خالد) للحظات ..

إن (سلوى) لا تحتاج لتوضيح أى سبب لدخول حجرة الأمن .. التى بها السلاح الرهيب .. فهى مسموح لها أن تدخل فى أى وقت تشاء !

لكن (خالد) لم يفهم .. لماذا كانت (سلوى) تريد الدخول هناك ؟ ولذلك صمم على معرفة السرّ ..

قال (خالد) للحارس .. وهو يركض :

ـ تعال معى ..

ثم دار الرجلان حول الركن .. كانت (سلوى) قد وضعت راحة

يدها فعلا على القرص .. ولاحظ (خالد) بغضب أن حاجز الدفاع .. توقف عن العمل !

وعندما رأته الفتاة قادمًا تجاهها .. جذبت يدها بسرعة .. وقالت وهى تشعر بالمفاجأة :

ـ (خالد) !

توقف (خالد)

فحتى من مكان وقوفه الذى يبعد عنها عدة أمتار استطاع أن يرى شيئًا ما .. مختلفًا فى (سلوى) ..

حدقت إلى الأمام .. بوجه خالٍ من التعبير .. وعندما تحدثت جاء صوتها مترددًا .. كما لو كانت شبه نائمة ..

سألها (خالد) :

ـ ما الذى تفعلينه ؟!

ثم لم يصدق ما حدث بعد ذلك !

فبدون أن تقول (سلوى) أى شىء . أخرجت مسدس الليزر الخاص بها .. وأطلقت دفقة من الأشعة الحارقة .. اخترقت الجدار .. وراء رأس (خالد) مباشرة !

وبدافع غريزى ارتمى (خالد) على الأرضية .. وأخرج مسدسه الإشعاعى .. وقبل أن يتمكن من إطلاقه .. مرقت بجواره دفقة أخرى من الأشعة ..

وسمع (خالد) صيحة احتضار الحارس الذى أصيب !

ارتبك (خالد) للحظات .. وتردد قبل أن يرد على الإشعاعات

بالمثل .. وقبل أن تحرك أصابعه الزناد .. استدارت (سلوى) .. وهربت منطلقة فى الممر .. وهى تقفز .. و (خالد) يتعقبها ..

ركضت (سلوى) مسرعة بطول الممرات .. والأنفاق المعدنية .. كشخص تطارده الأشباح !

واضطر (خالد) إلى استخدام كل طاقته ليستمر فى ملاحقتها .. ومرة أو مرتين .. استدارت (سلوى) وأطلقت الأشعة وراءها .. مما اضطر (خالد) إلى القفز بعيدا عن طريقها ! لكن أخيرًا ارتكبت خطأ .. ووجدت نفسها محاصرة فى نفق تفتيش مسدود ..

توقف (خالد) وهو يلهث .. وظل مبتعدًا عن خط نيرانها .. باختفائه خلف أحد الجدران ..

صاح قائلاً :

ـ (سلوى) ! ما الذى حدث لك ؟

وصلته إجابة وحيدة .. هى قذيفة ليزر جديدة !

ارتمى (خالد) على الأرضية .. لأن جزءًا من الجدار الذى وراءه تحطم .. ثم انطلقت قذيفة أخرى من الليزر .. وتأوه (خالد) عندما أصابته فى ساقه ..! كانت (سلوى) مصممة على قتله !!

عض شفته السفلى .. وهو يعرف أن عليه أن يختار ببساطة بين شيئين : أن يقتل (سلوى) .. أو تقتله هى !

أظهر (خالد) نفسه .. وأطلق دفقات متتالية من الأشعة الحارقة .. بطول نفق التفتيش المسدود .. وهو يتمنى فى قرارة نفسه .. أن يكون هناك حل بديل آخر ..

تهاوت (سلوى) على الارضية وهى تصرخ ..

لقد أصيبت !

ـ ٤ ـ

بعد ثلاث ساعات .. كان (خالد) ممددا فى جناحه .. بعد ان تأكد أن جرحه سطحى .. كان فى فترة راحته بعيدا عن واجبات العمل .. يفكر فى السبب الذى جعل (سلوى) تتصرف على هذا النحو الذى أبدته ..

لقد أجرى عليها فحص طبى شامل .. بحثت فيه كل فكرة محتملة .. لكن لم تثبت صحة أى منها ..

كانت (سلوى مجدى) رائدة فضاء مدربة تدريبا عاليا .. ورواد الفضاء من هذا النوع .. لا يصابون بالجنون .. ولا يعانون حمى الفضاء ! والأهم من ذلك كله .. أنهم لا يخوفون زملاءهم قط .. إذن ما هو السر ؟

* * *

صر (خالد) على أسنانه .. وقرر أنه لم يعد يحب هذه البعثة الآن .. وسرعان ما أغلق عينيه .. وبدأ فى النوم .. متأثرا بأحداث ذلك اليوم العصيب ..

فجأة .. سمع صوتا داخل عقله :

ـ لتمت يا رجل الأرض !

هب (خالد) من نومه .. مستيقظا على الفور .. بعد أن سمع ذلك الصوت الغريب ! لكن غرفته كانت مظلمة .. هل كان هناك شخص ما ؟

قبض (خالد) على مسدس الليزر الموجود بجانب فراشه .. ثم نهض وأضاء النور .. كانت الغرفة خالية ! ولمدة عدة ثوان .. ظن أنه كان يحلم .. لكنه سمع الآن الصوت الغريب .. مرة أخرى .. داخل عقله ! صوتا كنيبا لا يمكن فهمه .. كان يأتى من مكان مّا ، بمؤخرة عقله ..

ترنح (خالد) .. وشعر بدوار مفاجئ .. هز رأسه .. لكن هذا الإحساس لم يبارحه ..

خطا مسرعـا .. وهو متوتر الأعصـاب .. إلى الحمام .. وصب ماء باردا على وجهه ..

كان هناك شيء ما .. يريد مناقشته مع الطبيب ..

دق (خالد) الباب .. ودون أن ينتظر ردًا دخل العيادة ..

نظر إليه الدكتور (أحمد شلبى) .. من وراء مكتبه البيضاوى .. وقال :

ـ (خالد) .. كنت على وشك استدعائك !

جلس (خالد) على المقعد الجلدى وقال :

ـ هل لديك سبب معين لذلك ؟

أومأ د. (أحمد) برأسه وقال

ـ سبب وجيه جدًا .. (سلوى مجدى) .. أعتقد أننى أعرف ما الذى حدث لها ..

قاطعه (خالد) قائلا :

ـ وأنا أيضًا !

قفز د. (أحمد) واقفا .. وقال ووجهه مكتئب :

ـ إذن لا يوجد أى شك يا (خالد).. لابد من قتل الكائن الغريب !

ـ ٥ ـ

تناول د. (أحمد) كتابًا من فوق مكتبه وفتحه .. ونظر (خالد) إلى الصفحة المفتوحة ..

كانت بها صورة لما يتخيله رسام لنوع الكـائن الغريب .. الذى كان مسجونًا فى ذلك الوقت فى داخل الزنزانة .. وقال د. (أحمد) :

ـ ... إنه يعرف بلص الجسد !

أحس (خالد) بقلبه يغوص بين جنبيه ..

كان المفروض أن يكون هذا الجنس الغريب .. قد انقرض .. أو أبيد .. فى حرب بين الكواكب .. حدثت منذ زمن طويل جدًا ..! لكن إذا كان هذا الكائن الذى فى زنزانة سفينة الفضاء .. هو لـص جسد .. فعندئذ ..

وفجأة وجد (خالد) أن التفاصيل الصغيرة المتفرقة .. قد تجمع بعضها بجوار البعض .. وأعطت صورة متكاملة ..

كان (خالد) على حق منذ البداية .. فقد خدعه الكائنان الغريبان .. فبينما ضحى أحدهما بنفسه .. فى حاجز الدفاع .. فإن الكائن الثانى .. تركهم يأسرونه عن عمد ..

والآن .. يقبع الكائن الغريب ببراءة فى زنزانته .. يستغل قدراته التى أعطت لجنسه ـ الاسم المعروف به .. لصوص الأجساد ـ القدرة على سرقة اجساد الآخرين ! بوضع عقول الكائنات الغريبة .. فى أجساد أشخاص لا حول لهم ولا قوة .. والسيطرة عليهم كالدمى تماما !

كان واضحا أن هذا ما حدث لرائدة الفضاء (سلوى مجدى) .. فقد تمت السيطرة عليها .. حتى يمكن استغلال بصمات يديها .. للوصول إلى السلاح الرهيب .. داخل حجرة الأمن !

ومعنى ذلك أن (خالد) و (ماجد) .. كانا فى خطر داهم .. من لص الأجساد !

* * *

ضغط (خالد) على زر الاتصال الداخلى .. المثبت بمكتب د. (أحمد) .. وصاح فى وحدة الاتصال .. قائلا :

ـ منصة الانطلاق .. ماهى أماكن وجود رائد الفضاء (ماجد) .. ؟

جاءه الرد السريع من أحد رجال الأمن :

ـ رائد الفضاء (ماجد) .. خرج لتوه !

لعن (خالد) الحظ العاثر .. لهث وهو يصدر أوامره المتلاحقة :

ـ إلى مجموعة الأمن .. أريد فرقة من الرجال عند حجرة الأمن على الفور !

وعندئذ .. ركض (خالد) من عيادة السفينة .. وأخرج مسدسه الليزرى من حزامه .. فى أثناء تحركه ..

وثب (خالد) من المصعد فوق المنصة رقم ٧ .. فى اللحظة التى بدأت فيها المعركة ! إذ انطلقت قذائف الليزر على الحراس .. الذين كانوا موجودين بركن الممر .. واصطدمت بالجدار الذى وراءهم .. فتناثرت أجزاء منه ..

ظهر الحراس فى وضع يعوقهم عن السيطرة على رائد الفضاء (ماجد) .. الذى كان يطلق عليهم دفقات من أشعة الليزر .. وإصابته بشكل مباشر .. لأنه كان يقف داخل حجرة الأمن .. بعد الباب مباشرة .. يبادلهم إطلاق الأشعة الحارقة ..!

* * *

ركع (خالد) على ركبتيه .. وأخذ فى تقييم الموقف ..

وفى غضون بضعة ثوان .. أدرك أن بوسع (ماجد) أن تصل يداه .. إلى السلاح السرى الرهيب .. وعندئذ لن يمكنهم عمل أى شىء ، بل لن يستطيعوا أن يخاطروا بإطلاق أشعة الليزر الحارقة .. إذ ربما تصل إلى السلاح الرهيب .. وعندئذ ينفجر كقنبلة جبارة !

وبعد أن عرف (خالد) ما ينبغى عليه عمله .. انطلق مسرعا .. ولكن فى هذه المرة .. فى اتجاه الزنزانة !

كانت الطريقة الوحيدة الآن .. لإيقاف (ماجد) الذى تمت السيطرة على جسده ! هو القضاء على المخلوق الغريب ذاته ! ضغط (خالد) بإبهامه على الزر الذى يفتح المزاليج الإلكترونية للزنزانة ووجد أمامه المخلوق الغريب راقدًا فى سكون على فراشه الضخم ..

تقدم منه (خالد) فى حذر بالغ .. وقلبه على ظهره .. وحدق فيه ..

لم يكن فاقد الوعى .. ولا نائمًا .. وإنما كان عقله .. ليس موجودًا معه !

رفع (خالد) مسدسه الليزرى .. استعدادًا لإطلاق دفقة من الأشعة الحارقة .. لقتل الكائن الغريب !

وفجأة .. انفتحت عينا الكائن .. وحدق فيه من خلال عينين حمراوين .. لقد عاد ذهنه إلى جسده .. لحمايته ! ولم يجد (خالد) أى وقت للتصرف إذ هجم المخلوق الغريب عليه .. فوجد نفسه يصطدم بجدار الزنزانة .. ومسدس الليزر الذى فى يده .. يسقط على الأرضية .. محدثًا صوتًا مميزًا !

وهكذا أصبح (خالد) عاجزًا .. عن فعل أى شىء !

ـ ٦ ـ

أمسكه الكائن الغريب من رقبته .. ورفعه إلى أعلى .. وأحس (خالد) بالاختناق .. وعندما تراقصت الأشياء أمام عينيه ..

حاول أن يوجه ضربة خاطفة .. إلى ذراعى المخلوق الغريب .. وأن يركله فى ساقيه ..

ثم أحس (خالد) بفقدان الوعى يزحف على جسمه ..

وفجأة امتلأت الزنزانة بأصوات نيران الليزر .. وشعر (خالد) بنفسه .. يسقط على الأرضية ..

فتح عينيه المرهقتين .. وهو يشهق بعنف .. فرأى المخلوق الغريب .. يسقط على الجدار الخلفى للزنزانة .. وبصدره جرح غائر ..

ووقع على الأرضية .. وهو يزمجر بصوت مدوٍ .. لآخر مرة !

اتجه اهتمام (خالد) إلى قاتل الكائن الغريب .. فوجد (ماجد) واقفًا فى المدخل .. ومسحة ارتياح تبدو على وجهه وقال :

ـ أحمد الله أنك بخير ..

أنهض (خالد) نفسه من على الأرضية .. فى ضعف .. ووضع (ماجد) يده تحت ذراعه وساعده ..

كان لدى (خالد) الإحساس السعيد .. بأن كل شىء انتهى أخيرًا ..

وبعد أن اطمأن الرجلان على صحة (سلوى مجدى) .. عادا أدراجهما إلى غرفة القيادة .. ثم انطلق صوت من فوق شاشة الكمبيوتر .. يدوى فى كل مكان :

جميع العاملين على سفينة الفضاء (ابن البيطار) .. يستعدون

للهبوط على كوكب زحل .. سوف نخترق الحلقات بعد عدة ساعات ..
أكرر أننا نقترب من زحل !

قال (خالد) وهو يبتسم :

ـــ لا شك أن هذه أجمل أخبار سمعتها طوال الرحلة .. من ترايتون إلى زحل .. وهكذا وصل السلاح الرهيب .. سليما ..

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى

الكون والظلال

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

تقبل (رأفت فوزى) حقيقة الظاهرة الغريبة متأخرًا بعض الشىء عن الآخرين .. إذ إنه لم يقر بها إلا فى اليوم الثانى .. عندما أخذ الجميع يتحدثون عن الظلام المتزايد .. وإعتام الضوء .. الذى أصبح يغلف كوكب الأرض .. كله ..

وأخذ الناس يحتشدون فى مجموعات صغيرة .. حيث كان أغلبهم يقدمون تفسيرات مختلفة .. ممتزجة بتعليقات علمية مستقاة من الصحف ..

توجه (رأفت) إلى عمله كالمعتاد .. ووجد رئيسه .. الذى كان منعزلاً على الدوام .. واقفًا بجانب النافذة يتحدث إلى العاملين .. بألفة ..

فى ذلك اليوم .. لم يحضر أغلب الموظفين إلى العمل .. وكانت الغرفة الضخمة المليئة بالمكاتب الخالية من أصحابها .. تشير بوضوح إلى مدى أهمية هذا الحدث العجيب !

- ١ -

لقد كان أولئك الذين يرقبون الطقس دائمًا ــ رجال التنبؤات الجوية ــ هم أول من لاحظ هذه الظاهرة المثيرة ..

فقد بدت الشمس أكثر خفوتًا .. إلى حد ما .. وكانت المنازل والأجسام والأشياء عمومًا .. محاطة بظلال متزايدة ..

واعتقدوا فى بادئ الأمر .. أن ذلك خداع بصرى .. ولكن فى تلك الليلة .. كانت الإضاءة الكهربائية هى الأخرى .. أكثر خفوتًا ..

ولاحظت النساء أن السوائل لا تصل أبدًا إلى درجة الغليان .. وأن الطعام يظل جافًا .. وغير مطهوّ ..

ورُددت آراء عديدة فى الإذاعة والتليفزيون والصحف .. ولكنها كانت غامضة .. ومبهمة .. ومتناقضة ..

وكان أولئك الذين يتسمون بالعصبية .. يثيرون الذعر .. واكتظت محطات القطارات والباصات بالمغادرين من المدينة .. ولم يكن من بينهم من يعلم إلى أين هم متوجهون .. فى هذا الظلام ..

وذكرت البرامج الإذاعية والتليفزيونية .. أن هذا الإظلام .. ظاهرة عالمية .. ولكن (رأفت) تشكك فى هذا . ومع ذلك فقد كانت آخر البرقيات مؤكدة لهذه الظاهرة الغريبة .. فالظلال أخذت تتزايد باستمرار ..

وقام أشخاص بإشعال أعواد الثقاب وبدأت الاختبارات .. وقام الجميع بإجرائها .. فى ركن مظلم .. إشعال قدّاحة .. إضاءة بطارية يدوية .. وملاحظة خفوت الضوء !

ولم تعد المصابيح الكهربية تنير الحجرات .. كما كانت تفعل من قبل .. ولا يمكن أن يكون ذلك خداعًا بصريًا !

إنتاب الكثيرين الرعب .. لكن (رأفت) لم يكن واحدًا منهم ..

كان يعود إلى منزله فى الساعة الرابعة بعد الظهر .. والأنوار مضاءة .. غير أنه لم يكن ينبعث منها سوى ضوء ضئيل للغاية .. يبدو مثل كرات مائلة للاحمرار .. أو كإشارات التحذير الضوئية ..

رحل معظم من كانوا بالمنزل .. متثاقلين عبر الظلال ..

كان (رأفت) يصل إلى شقته دون صعوبة .. برغم خفوت الضوء .. وتعوّد أن يرتقى الدرج حتى الطابق الثالث بعد أن تعطل المصعد ..

بث الراديو أصواتا غريبة .. مجرد تشويش ..

فتح (رأفت) النافذة .. ليواجه ألوفا من الأنوار الضاربة إلى الحمرة .. أنوار المبانى الضخمة .. التى ترتفع هياكلها غير الواضحة تمامًا .. إلى عنان السماء .. الخالية من النجوم ..

ذهب إلى الثلاجة ليأخذ زجاجة حليب .. لم يكن محركها يعمل .. ويمكن أن يحدث نفس الشىء لمضخة المياه .. فوضع سدّادة الباتيو .. وملأه بالماء ..

أخرج (رأفت) بطاريته اليدوية .. وجوّل فى شقته الصغيرة .. آملاً فى رؤية أشيائه .. وممتلكاته .. فى هذا الضوء الشديد الخفوت ..

ترك زجاجة الحليب .. على منضدة المطبخ .. ثم أغلق النافذة .. وأطفأ البطارية .. وتمدد على فراشه ..

سرت رعدة باردة فى جسده .. إثر إدراكه لحقيقة الخطر .. الذى يحيق به ..!

* * *

نام بشكل متقطع .. وحلم أحلامًا مزعجة .. عن وحوش غريبة .. تخرج له من طيات الظلام .. المتكاثف .. أخذ طفل يصرخ فى مكان ما .. ويطلب من أمه أن تضىء الأنوار ..

استيقظ (رأفت) وهو قلق .. ومتوتر .. وركز بطاريته التى

يحتفظ بها دائما فى متناول يده .. على ساعته اليدوية .. ووجد أن الساعة الثامنة صباحا وعشر دقائق ..

نهض .. وفتح النافذة .. كان الاظلام التام يلف كل شىء .. والشمس فى الشرق .. حمراء مستديرة .. كما لو كانت تختفى وراء زجاج مدخن .. سميك .. وبدا الناس الذين يسيرون فى الطرقات المظلمة .. كالأشباح الغامضة !

تمكن (رأفت) وبصعوبة كبيرة من غسل وجهه .. ثم ذهب إلى المطبخ .. وشرب بعض الحليب .. وفكر كما هى عادته .. فى عمله .. وأدرك أنه لا يوجد أى مكان يمكن أن يذهب اليه ..

وتذكر فجأة .. مدى الرعب الذى شعر به وهو طفل .. عندما أغلقوا عليه الباب .. عندما كان فى الحمام ! ومنذ ذلك اليوم .. أصيب بالخوف المرضى من الأماكن المغلقة .. أو الضيقة ..

لم يكن هناك هواء كاف .. ليتنفس .. بينما جثم الظلام كحمل ثقيل على صدره ..

سار إلى النافذة .. وأخذ أنفاسا عميقة ..

بدا قرص الشمس الأحمر .. معلقا وسط السماء المظلمة ..

لم يستطع (رأفت) أن ينظم أفكاره .. إذ جعله الظلام يشعر كما لو كان يركض .. طلبا للمساعدة ..

ضم قبضتى يديه فى عصبية .. وحدّث نفسه قائلا :

– يجب أن أحافظ على هدوء أعصابى .. وأدافع عن حياتى .. ريثما يعود كل شىء إلى حالته الطبيعية !

وبدا هذا أمرا يكاد أن يكون .. مستحيلا !!

ـ ٢ ـ

تذكر (رأفت) أخته المتزوجة .. التى تقيم على بعد ثلاث عمارات .. ودفعته حاجته للاتصال بأى شخص .. إلى أن يقرر الذهاب إلى هناك .. لمساعدة أولادها بأى طريقة متاحة له ..

وفى ظلام المدخل .. استخدم الجدار كدليل له ..

وداخل شقة أرضية .. ارتفع صوت متسائل لرجل :

ـ من بالخارج ؟

أجاب (رأفت) بصوت مرتفع :

ـ أنا (رأفت فوزى) من الشقة ٣١٢ ..

كان يعرف من المتحدث .. إنه الرجل البدين .. الأشيب .. الذى له طفلان ..

قال الرجل برجاء :

ـ أرجوك قل لزوجتى إن الظلام سوف ينقشع .. فهى تبكى منذ أمس والطفلان خائفان ..

اقترب (رأفت) ببطء .. لابد أن المرأة تقف بالقرب من زوجها .. تبكى بحرقة ..

قال بصوت حاول أن يبدو مشجعا :

ـ لا تبكى يا سيدتى .. إن الظلام حالك حقا .. لكننا ما زلنا نرى الشمس هناك .. لا توجد أى مخاطر .. ولن يستمر ذلك طويلا ..!

واصل الزوج حديثه قائلا :

ـ هل تسمعين ؟ لا توجد أى مخاطر .. وعليك أن تظلى رابطة

الجأش .. من أجل الطفلين ..

أحس (رأفت) من الأصوات التى سمعها .. بأنهما يتشبثان ببعضهما .. فى قوة .. وصدق ..

وقف صامتا لبضع لحظات .. ثم بدأ يهبط الدرج ..

سمع بعض كلمات الحوار .. خارجة من أبواب مبان سكنية كثيرة .. وهو يتلمس طريقه فى ظلام .. صباح .. ذلك اليوم ..

نقص الضوء جعل الناس يتكلمون بصوت أعلى .. أو أن أصواتهم زاد وضوحها ..وسط السكون المطبق الذى يسود ..

وصل (رأفت) إلى الطريق .. وكانت الشمس عالية فى كبد السماء .. لكن ضوءها كان خافتا تماما .. ولعله كان أضعف من ضوء القمر .. فى فترة محاقه ..

ومن وقت لآخر .. مر به بعض الناس .. سواء فرادى أو جماعات .. وكانوا يتحدثون بصوت عال .. وبعضهم كان ما يزال يضحك .. وهم يتعثرون فى مطبات الشوارع ..

بدأ (رأفت) يسير ببطء .. وهو يتخيل ذهنيا .. الطريق إلى منزل أخته ..

أخذ الشكل الخارجى الأحمر الخافت للمبانى فى التناقص ..

كانت ذراعاه ممتدتان أمامه .. وهو لا يستطيع تقريبا رؤية أصابع يديه .. وتعجب من أولئك الذين يمرون من حوله .. مهرولين ..

سمع أنين كلب صغير من إحدى الشرفات .. وصياحا وأصواتا متداخلة .. وأناسا ينادون بعضهم .. وبعض الأشخاص يسيرون

متمهلين .. وهم يدعون الله .. ويصلون متضرعين ..

* * *

وصل أخيرا الى شقة أخته .. ووجد الجميع يتحركون .. وهم متشابكى الايدى .. وكان الاطفال يصطدمون بقطع الأثاث .. ويضلون طريقهم فى حجرات الشقة .. فوبختهم أمهم بانفعال .. وبمجرد أن جلسوا فى المقاعد الكبيرة ذات المساند .. لم يعودوا يعرفون ماذا يفعلون !

استعرضوا أسباب الظاهرة الغريبة .. المحيطة بهم .. وابتكروا أسبابا وافتراضات تتجاوز نطاق العلم .. إلى الغيبيات .. وما وراء الطبيعة ..!

وعلق (رافت) على ذلك بتسرع قائلا :

ـ إن هذا الموقف .. لن يطول إلى الابد !

بدأت أخته تبكى .. وكان من الصعب تهدئتها ..

طرح الأطفال أسئلة يستحيل الإجابة عنها ..

وفجأة شعر (رافت) بأن عليه أن يفعل شيئا ما ..

نهض خارجا ليتقصى الأسباب ..

اعترض زوج أخته قائلا :

ـ إن ذلك خطر .. ولا جدوى منه ..!

اضطر لطمأنته بقوله :

ـ لن أبتعد أكثر من خمسين مترا من المبنى .. متجها الى الناصية .. ولن أعبر الطريق ..

* * *

فى الخارج استند الى جدار المبنى .. وارهف السمع ..

صفرت الرياح الباردة .. فى أثناء مرورها بين المبانى .. وسحبت معها قطعا من الأوراق .. تصدر حفيفا رقيقا ..

وفجأة .. صدرت صرخات حادة من مسافة قريبة .. وكثير من الاصوات غير الواضحة ..

وقف (رافت) ساكنا .. متوترا .. مترقبا .. ثم تحرك بحذر لعدة أمتار ..

استطاعت أذناه أن تلتقط ذبذبات المدينة .. الغارقة فى الظلام وسواء فتح عينيه أو اغلقهما .. لم يجد حوله .. سوى بحر أسود .. ليس له أول ولا آخر ..

وأدرك انه من الغريب الانتظار هكذا .. دون هدف محدد ..

أحاطت بـ (رافت) .. أشباح شبابه .. وعاد إلى منزله .. وهو يكاد يركض داخل ضباب قاتم .. ويتلمس بيديه الجدران .. غير المستوية ..

تعثر على الدرج .. وسقط .. ولكنه نهض بسرعة .. ثم سمع أصواتا تصيح :

ـ من هناك بالخارج ؟

اجابهم (رافت) بأنفاس متقطعة .. وهو يثب فوق السلالم .. يعتلى كل اثنتين فى الوثبة الواحدة .. حتى وصل إلى جيرانه الذين يصطدمون ببعضهم .. ويخشون أن يكون قد اصيب بمكروه .. ويسألونه عما حدث ..

ابتسم .. واعترف لهم :

ـ إننى أصبحت خائفا فعلا .. من هذا الظلام الذى يبدو ألا نهاية له !

ظلوا مع بعضهم بقية اليوم .. يعملون .. ويتحدثون طويلا .. ويصفون ما الذى يفعلونه ..

تحطمت أخيرا سلسلة الكلمات التى تربط بينهم .. ولم يكن أحد منهم يعرف شيئا عن هذه الظاهرة الغريبة .. ولكنهم جميعا رفعوا رءوسهم فى نفس الوقت .. وهم ينصتون .. ويتنفسون بعمق .. وينتظرون .. وقوع معجزة .. لا تبدو أى علامات لها !

وزعت قطع الشيكولاته على الجميع .. حتى نفد كل ما فى الصندوق منها .. ولم يبق سوى بعض الحبوب .. وبودرة الحليب ..

وإذا ظل الظلام كثيفا بهذا الشكل .. فإنه يكون من القسوة .. التنبؤ بالنتائج المتوقعة ..

ومرت الساعات .. ورقدوا على الأرضية الرطبة .. يقاومون النعاس .. وينتظرون قدوم الصباح .. الذى قد يلقى بأشعته الضوئية على النوافذ ، لكنهم استيقظوا كعادتهم .. وعيونهم لا حول لها .. ولا قوة ..

انطفأت التوهجات .. وبردت المواقد.. وبدأ الطعام ينفد ..

وزع (رأفت) آخر ما لديه من الحبوب .. وبودرة الحليب .. وأصاب الجميع قلق .. وتوتر .. شديدان ..

كان المبنى مكونا من عشرة طوابق .. واعتقد (رأفت) أن عليه الصعود إلى أعلى طابق .. لينظر إلى أبعد مسافة ممكنة .. إذ ربما يشاهد بصيصا من ضوء !

خرج من شقته .. وبدأ يصعد بحذر فى الدرج .. الذى تكتنفه الظلمات ..

جاءته من الشقق التى يمر بها .. أسئلة كثيرة .. بأصوات عصبية :

ـ من هناك بالخارج ؟

ـ هل معك طعام ؟

وفى الطابق السادس طمأنه صوت ما :

ـ يمكنك أن تصعد إلى أعلى طابق إذا أردت ! ولكنك تضيع وقتك ! لقد كنت هناك مع اثنين آخرين .. لن يمكنك أن ترى شيئا ما من هناك !

أجابهم (رأفت) متهيبا :

ـ لقد نفد طعامى .. هل يمكنكم مساعدتى ؟

ردت عليه الأصوات بقمة انفعالها :

ـ انتهى كل طعامنا اليوم !

ـ ٣ ـ

قرر (رأفت) سرقة طعام ! فقد محا الظلام الطويل .. الغامض .. كل القيم والمبادئ ..!

كان التفكير فيما ينتظره .. ترتعد له فرائصه ..! فأخذ معه عتلة من صندوق أدواته .. واستعد لمغادرة مأواه ..

سار (رأفت) بجوار الجدار .. وعقله مشغول .. بتنظيم تفاصيل ما هو مقدم عليه .. ويداه تتحسسان كل تجويف .. وبروز ..

تلمست أصابعه كل سنتيمتر فى الهيكل الخارجى للمبنى .. حتى

وصلت إلى باب حديدى متعرج .. انه لا يمكن أن يخطى فى ذلك !

كان هذا هو سوق المواد الغذائية الوحيد .. فى المنطقة ..

انحنى إلى الأمام ليتحسس القفل .. لم تصادف يداه صعوبة تذكر .. فقد كان الباب نصف مغلق فقط ..

احنى راسه ودخل دون أن يحدث صوتا ..

تذكر أن الأرفف التى على اليمين .. عليها علب الطعام المحفوظ .. وبعض الحلوى ..

اصطدم بطاولة المدخل .. فاطلق سيلا من السباب .. ومكث ساكنا .. وعضلاته متوترة ..

انتظر قليلا .. حتى يهدأ .. ثم تحسس المنضدة وصعد فوقها بحذر .. وبدأ يبحث بيديه عن أى شىء .

وصل إلى الألواح الخشبية .. وأخذ يحرك يده على طول الرف .. لم يكن هناك بالطبع أى شىء على الإطلاق .. فقد باعوا كل ما لديهم .. قبل الظلام التام ..

رفع ذراعه لأعلى .. وبدأ يبحث بسرعة .. ولكن بلا جدوى ..

تحركت يداه بعصبية فى كل اتجاه .. وأصيب بخدوش من جراء احتكاكهما بالجدار .. وأيقن بعدم وجود اى معلبات !

* * *

جلس (رافت) على صندوق فارغ .. وامتلأت عيناه بالدموع .. وأخذ يفكر لنفسه :

ـ كيف أتصرف الان ؟ هل أعود يفشلى .. لأعاود البحث فى أسواق مواد غذائية .. لا أعرف مكانها بالتحديد ؟

تناول العتلة الحديدية .. وبدأ طريق عودته الى منزله .. بخطوات قصيرة حذرة .. باحثا عن أصدقائه غير المرئيين .. ثم توقف فجأة .. وبدأت يداه تبحثان عن علامة أرضية مألوفة له ..

وخطوة .. خطوة .. تقدم إلى الأمام بضعة أمتار أخرى .. وأخذ يتحسس الأبواب والجدران .. حتى وصل إلى ناصية مجهولة !

آثر السلامة .. وسط هذا الظلام الدامس .. ففكر فى العودة إلى سوق المواد الغذائية .. ليبدأ من هناك مرة أخرى ..

عاد فعلا من الطريق الذى جاء منه .. جرح إصبعه فى الظلام .. بينما كان يبحث عن باب مضلع خفى لكنه ضل طريقه الى هذا الباب .. فجلس على الرصيف .. وجسده ينتفض ..

قاوم بكل ما لديه من قوة .. كرجل يغرق ..

صرخ بقمة انفعاله :

ـ لقد ضللت طريقى .. أرجوكم .. أريد أن أعرف اسم الشارع !

وظل يكرر ذلك مرة تلو الأخرى .. وكل مرة بصوت أعلى .. ولكنه لم يتلق أية إجابة .. وكلما أحس بالصمت من حوله .. ازدادت توسلاته ..

لقد سمع بنفسه من نافذة منزله .. أصوات التائهين الذين يطلبون المساعدة .. ولكن لم ينجدهم أحد !

بدأ (رافت) يسير على غير هدى .. ماذا ذراعيه أمامه .. يصرخ طلبا للمساعدة .. ثم أخذ يتحسس الجدران فى جنون .. وهو يستجدى أى معلومات .. أو طعام ..

ـ إننى (رافت فوزى) أقيم فى المنزل رقم ١٥ .. شارع

الحرية .. أرجوكم مساعدتى !

سمع أصواتا هامسة فى الظلام .. وكان متأكدا أن هناك من يستمع إليه ..

صرخ .. توسل .. دون أدنى خجل ..

كان الضباب الأسود .. يحوّله إلى مجرد طفل عاجز .. شل الظلام حركته .. ونفذ من مسام جلده .. وغيّر كل أفكاره ..

فجأة .. تحوّل عجزه .. إلى كراهية ! وقبض بشدة على العتلة .. مستعدًا للحصول على الطعام .. بالقوة ..

مر بجوار آخرين .. يستجدون أيضا الطعام لأنفسهم ..

تقدم (رأفت) بحذر .. وهو يلوّح بالعتلة مهددًا .. حتى اصطدم بشخص ما .. فأمسك به .. وشل حركته ..

صرخ الرجل فى طلب النجدة ..

صاح (رأفت) :

ــ لن أتركك .. حتى تخبرنى عن هذا المكان .. وكيفية الحصول على الطعام !

بدا الرجل متقدما فى السن .. وسرعان ما انخرط فى البكاء .. والعويل ..

خفف (رأفت) من ضغط أصابعه المتصلبة على جسم الرجل وأطلق سراحه ..

ــ ٤ ــ

أحس (رأفت) بضيق شديد فى التنفس .. بسبب تلك الطيات المتراكمة من الظلال الكثيف .. الثقيل ..

صاح من جديد طلبًا للمساعدة .. وظل مرهفا سمعه ..

أجابه من بعيد .. صوت رجل :

ــ انتظر ! سوف أحضر وأساعدك !

بدا أن الرجل القادم .. يحمل شيئا ثقيلا .. إذ أخذ يلهث من المجهود .. وطلب من (رأفت) ان يساعده بإمساك طرف ما كان يحمله .. ثم سار الرجل فى المقدمة ..

شعر (رأفت) بشىء ما .. غير مفهوم ..

لم يكن يستطيع متابعة حركة الرجل .. وهو يستدير فى التقاطعات ..

برق فى ذهنه .. ارتياب ما .. لعل الرجل يرى قليلا .. وأن الضوء سوف يرجع إلى الآخرين ..

سأله :

ــ إنك تسير بثقة واطمئنان .. هل تتمكن من الرؤية ؟

تمهل الرجل قليلاً قبل أن يجيبه :

ــ كلا .. إننى لا أرى شيئا فى الحقيقة .. فأنا كفيف تماما !

غمغم (رأفت) :

ــ أعنى قبل هذه الظلمة الكاملة !

أجابه الرجل بسرعة :

ــ إننى كفيف منذ ولادتى ! إننا ذاهبان إلى معهد المكفوفين عند أطراف المدينة .. حيث أقيم ..

وأخبره الرجل الكفيف (صابر) .. أنه وزملاءه ساعدوا كثيرا من التائهين .. وأخذوهم معهم .. لكن ما لديهم من الطعام قليل ..

استمر الظلام .. دون أى علامة على قرب انتهائه ..

لا شك ان الالاف .. سوف يموتون من الجوع .. والعطش ..

شعر (رافت) كأنه طفل أنقذه الكبار .. من الاخطار المحدقة به ..

وفى معهد المكفوفين .. اعطوه زجاجة حليب .. وبعض الحلوى ..

وبدا ان للمكفوفين لكنة خاصة فى صوتهم .. وكانوا يتصرفون فى الظلام بثقة .. ويتحركون بسهولة ..

إن هؤلاء الرجال الذين رآهم مرارا فى الطرق .. قبل حدوث الاظلام .. هم يسألون بانكسار عن الباص القادم إلى المحطة .. أو رقمه .. أو يطلبون المساعدة لعبور الطريق .. أو يتقدمون ببطء أمام أعين الناس .. الذين يعطفون عليهم .. أصبحوا الآن بقدرتهم الذهنية الفائقة .. أسرع وأكفأ .. ويحققون ما يشبه المعجزات ! فى عالم الظلام ..

كان الرجال المكفوفون صبورين .. وبعيدين عن أى أخطاء .. أو أفكار خادعة .. وسوء مصيرهم وحدهم .. أصبح يشاركهم الآن الجميع فيه .. لم يكن فى المعهد .. وقت طويل للراحة .. ولكن بعد الوجبات .. غنى المكفوفون بمصاحبة آلة عود قديمة ..

ولاحظ (رافت) حماسا طبيعيا .. وربما سعادة .. لا يستوجبها الموقف الحالى على الاقل ..

وأدرك التقارب الدائم بين المكفوفين والآخرين .. وتلامس الأيدى المستمر .. إلى الخروج للنزهة بالقرب من المعهد ..

وأصبح من الصعب السيطرة على هذه المتعة الجديدة ..

* * *

أدرك (رافت) .. أنه لا توجد أى كارثة أو حادثة فى تاريخ البشر .. أكثر غرابة وخطورة من هذا الاظلام الغامض .. فإذا سبب الظلام الدامس المحيط بهم .. متاعب ومشاكل جسيمة لهم .. فهذا يعتبر لا شىء .. بالمقارنة بالافكار التى احدثها هذا الجدار المنيع فى عقولهم ..

هل هذه هى نهاية العالم ؟

كان عليهم أن يضعوا جانبا هذا التصور المروع .. وأن يستمروا فى العناية بالأمور الأساسية المعتادة .. كالمأكل والمشرب .. وابتهل الجميع إلى الله جلت قدرته .. طلبا لحدوث معجزة ما ..

كان من الصعب تحمل هذه اللحظات المتراخية .. العقيمة .. دون أن يتشتت ذهن المرء ..

وتساءل الجميع :

– ترى هل سوف يعود العالم إلى طبيعته ؟ أو أنهم سيموتون جميعا ببطء ؟.

كانت هذه كارثة مفجعة ..! أخطر من الظلام الذى يخنقهم ..

بدا (صابر) الكفيف .. قلقًا بشأن المستقبل .. ولكن أقل بكثير من قلق (رأفت) .. ومن واقع نفس الممارسة والخبرة .. فإنهما وجدا أنه من المستحيل النظر إلى الأمر .. من وجهة نظر واحدة !

* * *

وفى اليوم السادس عشر .. اختلى (صابر) بـ (رأفت) وأخبره أنه حتى الاحتياطى الذى لديهم من الحليب البودرة .. نفد كله ..

وبدأت الحالة العصبية للجميع تسوء فثارت الخلافات لأتفه الأسباب .. وطالت بدون مبرر .. وكان معظم الموجودين على شفا حالة الانهيار العصبى ..

وفى غضون الساعات الأولى من اليوم السابع عشر .. استيقظوا على صيحات الفرحة .. والبهجة ..

إذ إن أحد اللاجئين لم يستطع النوم .. حيث شعر باختلاف فى حالة الجو .. فصعد فى السلم الموجود خارج معهد المكفوفين .. وشاهد كرة حمراء شاحبة عند الأفق !

ـ ٥ ـ

حضر الجميع على الفور يتدافعون.. ويتساقطون على الأرضية .. وبقوا هناك يحدوهم الأمل .. ينتظرون .. زيادة الضياء المعجزة المنتظرة !

سألهم (صابر) :

ـ هل تشاهدون فعلاً .. شيئًا ما ؟

تذكر أحد اللاجئين .. كيف يشعل عود ثقاب .. وبعد بضع محاولات .. انطلق اللهب ! كان ضعيفا .. وبدون تأثير حرارى .. ولكنه مرئى لعيون أولئك الذين نظروا إليه .. كمعجزة خارقة !

واستمر ازدياد الضوء ببطء .. بنفس الطريقة التى كان قد اختفى بها ! كان هذا يومًا رائعًا مليئا بالأفراح غير المتوقعة ..

بدت قلوب الجميع دافئة .. ممتلئة بالحب .. والأمان .. وعيونهم قد ولدت من جديد .. وأخذوا يتناولون وجباتهم .. خارج معهد المكفوفين .. إذ بدا أن أيام الضياء .. سوف تعود مرة أخرى ..

استأنفت الشمس مسارها .. عبر السماء .. وفى الساعة الرابعة مساء .. كان يمكن التمييز تمامًا .. بين الإنسان وظله .. من مسافة ثلاثة أمتار ! ولكن عندما تغرب الشمس .. يعود الظلام التام ..

أقاموا لهبًا فى حديقة المعهد .. ولكنه كان ضعيفًا .. نصف شفاف .. واستهلك قليلاً جدًا من الخشب .. وكثيرًا ما كان ينطفئ .. ويعيد اللاجئون إشعاله .. بقطع من الورق .. مع النفخ الشديد فيه .. محافظين على استمرار النافورة الشاحبة .. من الضوء والدفء كرمز للحياة فى المستقبل ..!

وعند منتصف الليل .. كان من الصعب إقناع اللاجئين بأن عليهم أن يأووا إلى فراشهم ..

لم يكن ينام إلا الأطفال .. وأخذ كل من معه عود ثقاب .. يشعله من وقت لآخر .. ثم يأخذ فى الضحك .. بينه وبين نفسه .. كما لو كان قد اكتشف إكسير الحياة !

ـ ٦ ـ

فى الساعة الرابعة والنصف صباحا .. استيقظ اللاجئون وتوجهوا للخارج .. لم يرتقب أى فجر فى تاريخ العالم كله .. كما ارتقب بزوغ هذا الفجر ..

لم يكن الأمر يتعلق بروعة الألوان .. وشاعرية الأفق الذى يلوح للنظر .. وسط السحاب الأبيض .. ولا الأشجار والطيور .. بل كانت قدسية الضوء .. هى التى انتظرها اللاجئون ..

بدت الشمس أكثر سطوعا .. ومن ثم أغمض اللاجئون عيونهم .. التى لم تعتد عليها .. ومد المكفوفون أكفهم إلى الأشعة .. وقلبوها لكى يشعروا بالحرارة على كلا جانبيها ..

ظهرت وجوه مختلفة للاجئين .. مع أصوات يمكن إدراكها وتعرفها وضحكوا جميعا .. واحتضن كل منهم الآخر .. فقد تلاشت وحدتهم واختلافاتهم .. فى هذا الفجر الرائع .. الذى لا حدود له ..

عانقوا المكفوفين وقبلوهم .. وحملوهم على الأعناق .. كالمنتصرين ..

تصايح اللاجئون .. الأمر الذى جعل عيونهم .. التى لم تعتمد على الضوء .. تزداد احمرارا ..

وعند الظهيرة .. كانت النيران قد أصبحت عادية ..

ولأول مرة فى خلال ثلاثة أسابيع .. أمكن إعداد وجبة مطهوة .. ساخنة

لم يود سوى القليل من العمل .. فى باقى ذلك اليوم .. وغمرت

الاضواء الناس من جديد .. فأمكنهم استيعاب المشاهد التى حولهم والسير عبر الاماكن التى كانوا يزحفون فيها .. او يتخبطون فى تحركهم عبر ظلامها ..

وتساءل الجميع فى قلق بالغ :

ـ ماذا عن المدينة ؟ وما الذى حدث للسكان هناك ؟

كانت تلك فكرة مروعة .. حتى ان أولئك الذين لهم أقرباء وأصدقاء فيها كفوا عن الابتسام ..!

كم شخصا لقى حتفه فى المدينة ؟ أو عانى المشاق البالغة ؟

رأى (رافت) أنه ينبغى عليهم تقصى الموقف فى اليوم التالى .. تطوع ثلاثة أفراد معه ..

أمضى (رافت) ليلة مضنية من تأثير كل تلك الأيام الغامضة المظلمة .. التى كانوا فيها أشد عمى .. من المكفوفين أنفسهم !

* * *

عاد (رافت) ورفاقه من المدينة .. يملؤهم الحزن .. وينهكهم الضعف .. ولكن تعتريهم بهجة خفية .. مكبوتة ليقانهم على قيد الحياة ..

كان أهم من التكهنات والتأملات .. هذه المعجزة الغامضة .. لاستمرار جريان الدم فى الشرايين .. والاستمتاع بالحب .. والسعادة .. وتحريك العضلات .. والابتسام .. والأمل !

وفى المدينة عرفوا سر الظلام الغامض فقد دخلت الكرة الأرضية فى أثناء دورانها حول الشمس .. فى سحابة من المادة المظلمة .. التى تكون نحو ٩٩٪ من مادة الكون .. ولا يعرف

بالتحديد مم تتكون .. ولكنها على الأرجح مكونة من جسيمات دون ذرية .. تدعى بالأكسيونات .. والجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل .. إذ إنها لا تتفاعل مع أى مادة فى الكون ..

وقد استدل على وجود هذه المادة المظلمة .. من تأثيرها غير المرئى على حركة المجرات .. جزر الكون الكبرى ..!

* * *

عند مشاهدة (رأفت) وزملائه من بعيد .. كانوا يبدون ضئيلين .. بالنسبة للدروب الطويلة التى تضمهم ..

بدت أجسامهم نشيطة .. وقد عادت إلى حيويتها الماضية .. تتعرض لقوى كونية مثيرة .. لا يمكن السيطرة عليها .. والموجودة منذ بدء الخلق ..

ولكن مع استيعاب عيونهم المتلهفة .. لكل لون وشكل وحركة .. لم يلقوا بالا إلى الحجم الهائل .. الغامض .. للكون المتمدد .. والمجرات المتباعدة عن بعضها .. إلى الأبد ..

ولا لعجز إخوانهم .. منقذيهم .. المكفوفين .. الذين ما زالوا يعيشون فى الظلام !

نظروا إلى السماء ..

كانت هناك كواكب ومنظومات شمسية ومجرات وسدم ..

وكانوا مجرد أربعة أفراد .. ضعفاء ..

عاندين مع مشاكلهم ..

إلى العالم ..

بعد الظلام !

* * *

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

رءوف وصفى

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

١ ـ غزو من عالم آخر .
٢ ـ الإنسان الآلى القاتل .
٣ ـ أشباح فى الفضاء .
٤ ـ رعب تحت المجهر .
٥ ـ سر كتاب الموتى .
٦ ـ الحب المستحيل .
٧ ـ اغتيال كمبيوتر .
٨ ـ الفيروسات الذكية .
٩ ـ هجوم الزواحف .
١٠ ـ ثورة الربيوت .
١١ ـ الرحلة الرهيبة .
١٢ ـ إنتقام الروبوت .
١٣ ـ قيثارة الموت .

★ تحت الطبع ★

١٤ ـ شواطئ الأبدية .
١٥ ـ الرعب الإليكترونى .
١٦ ـ سحابة الموت .
١٧ ـ المؤامرة الكونية .
١٨ ـ مذنب الدمار .
١٩ ـ الرعب الآلى .
٢٠ ـ الكمبيوتر .. يحكم .

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

قيثارة الموت

مغامرات جديدة من أدب الخيال العلمى ، تنشط الذهن وتفتح آفاقًا فريدة للمستقبل القريب والبعيد .

- السلاح الرهيب .. قيثارة الموت .
- مغامرة مكوك الفضاء الأخير .. بعيدًا عن كوكب الأرض .
- علاقة الفراعنة بالليزر .. (والنائمون) المجمدون .
- صراع الكائنات فوق كوكب الحروب .
- سر لصوص الأجساد .

ومغامرات أخرى مثيرة من الخيال العلمى .

إن قراءة سلسلة (نوفا) متعة لا تنسى !

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- قيثار الموت ٥
- مكوك الفضاء الأخير ٥٥
- الدفاع الآلى ٦٣
- الفراعنة والليزر ... ٦٩
- التجمع الآلى ٨٣
- الكمبيوتر الفائق ... ٨٧
- كوكب الحروب ٩٥
- لصوص الأجساد .. ١١١
- الكون والظلال ١٢٩

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم